


جامعة النيلين

كلية الدراسات العليا

قسم التاريخ

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي بعنوان:

قيام دولة المرابطين ودورها في نشر الإسلام في السودان الغربي

(448-541هـ-1056م-1147م)

إعداد الطالب:

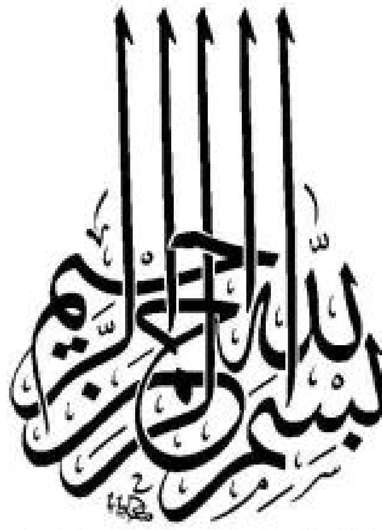
صلاح آدم عيسى محمد

إشراف الدكتور:

عصام محمود عثمان

1438هـ -2017

الاستهلال



﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون ﴾

صدق الله العظيم

سورة الأنفال: الآية (60)

إهداء

إلى الذين غرسوا في نفسي كل المعاني السامية وتركوا القيم

والأخلاق نبراساً يضيء لي دربي .   والدي العزيز

إلى التي أعطتني الحب وزرعت في قلبي الإيمان وأضاءت لي طريق

العلم والمعرفة .   أمي العزيزة

إلى أساتذتي وزملائي في كل مراحل التعليم المختلفة وفاءاً

وإخلاصاً وعرفاناً مني لهم جميعاً التحية لهم . . .

الباحث

شكر وتقدير

الشكر وكل الشكر أولاً وأخيراً لله عز وجل وإلى منارات العلم وشمس المعارف إدارة جامعة النيلين والقائمين على أمرها .

وأخص بالشكر الدكتور/ **عصام محمود عثمان** الذي كان لي مشرفاً على هذا البحث فكرس جهده وفكره في توجيهي ومساعدتي حيث كان لي الوالد والأستاذ فله مني عظيم الشكر والتقدير كما يطيب لي أن أتقدم بالشكر لكل من ساهم بفكره وماله وشجعني في إنجاز هذا البحث وكل شكري وتقديري لمن قدم لي المساعدة .

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر لكل أفراد أسرتي و الزملاء والأصدقاء لوقوفهم معي لإخراج هذا البحث المتواضع . .

والشكر أيضاً إلى الأستاذة زينب إسماعيل التي قامت بطباعة وإخراج هذا البحث . .

الباحث

المستخلص

جاءت هذه الدراسة عن قيام دولة المرابطين ودورها في نشر الإسلام في السودان الغربي، وكان موطن المرابطين في الصحراء الغربية، موطنهم الصحراء الكبرى والتي تحدها من الجنوب بلاد السودان حيث مملكة غانة الكبيرة، وفي الغرب المحيط الأطلسي، وفي الشرق نهر النيجر عندما يتلوي شمالاً إلي جهة تمبكتو، وفي الشمال منطقة سجلماسة التي يقال لها اليوم تافيلات، وفي هذه الصحراء كانت تعيش قبائل صنهاجة اللثام البربرية، ونسبة لأنحراف نظام الحكم عن نظام الشوري إلي الوراثي الذي سبب نزاعاً عنيفاً علي منصب ولاية العهد، وتنازعهم علي السلطة سببت تمزقاً داخلياً، ففقدت الدولة المرابطية وحدتها الأولي.

وكذلك الضعف الفكري الذي أصاب فقهاء المرابطين وحجرهم علي أفكار الناس، ومحاولة إلزامهم بفروع مذهب الإمام مالك وحده، وعملوا علي منع بقية المذاهب السنية تعصباً لمذهبهم، بل قاموا بإحراق كتب الإمام الغزالي. ولأهمية هذه الدراسة ولإلقاء مزيداً من الضوء قسمت هذه الدراسة إلي مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة تناول الفصل الأول نشأة دولة المرابطين، وقبائلهم، وأصولهم، وأماكن تواجدهم وأسلوبهم في الحياة حتى ظهور الأمير يحي بن إبراهيم الجدالي، ولقاءه بالفقيه أبي عمران الفاسي شيخ المذهب المالكي، والذي أختاره عبد الله بن ياسين الجزولي ليتوجه معه إلي بلاده ليعلمهم أمور دينهم. ثم تناولت الدراسة رحلة عبد الله بن ياسين في بلاد صنهاجة وتشدده في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى نفر منه القوم، وأعرضوا عنه . فتوجه عبد الله بن ياسين إلي جزيرة نائية بناءً علي مشورة يحيي بن إبراهيم الجدالي، وفي تلك الجزيرة أسس رباطه المعروف، وأخذ الناس يقبلون عليه، حتى أجتمع له نحو ألف رجل اسماهم المرابطين، ودعاهم إلي الجهاد في سبيل الله، وبث الدين الإسلامي في بلاد صنهاجة. وحوت الفصل الثاني دورهم في نشر الإسلام في السودان الغربي، عبر عدة طرق ووسائل منها الدعاة والتجار والصوفية، ثم جهودهم في تطهير مملكة غانة الوثنية وتحويلها علي الإسلام، ونتج عن تلك الجهود قيام الممالك الإسلامية في السودان الغربي وهي مملكتي مالي وصنغاي، وظهرت المدن التجارية مثل: تمبكتو وجني وكومي صالح وغيرها من مدن السودان الغربي التجارية.

وتناولت في الفصل الثالث إنطلاقة المرابطين نحو المغرب الأقصي وتوحيدها تحت زعامتهم، ودور الزعيم أمير المسلمين يوسف بن تاشفين المؤسس الحقيقي لدولة المرابطين، ومؤسس مدينة مراكش في عام 454هـ وجوازه إلي الأندلس أربع مرات للقاء النصاري، ترك يوسف لخلفه دولة مترامية الأطراف موطدة الأركان، أستمر حكم المرابطين في المغرب قرابة القرن من الزمان حتى ظهور المهدي بن تومرت مما تسبب في اضطراب أحوال الدولة وزوالها.

Abstract

This study was about the establishment of the Almoravid state and its dynasty in the spread of Islam in the western Sudan. It was the home of the Almoravids in Western Sahara, the Chinguit Desert or what is now called Mauritania. Which is bordered by the south of the country of Sudan, where the great city of Ghana, and in the West Atlantic Ocean, and in the east, the Niger River when it tails north to the direction of Timbuktu, and in the north Sigmassa area, which is said today Tafilat, and in this desert lived Sanhjp tribes barbarism, and the deviation of the system The ruling on the Shura regime to the genetics, which caused a violent dispute over the position of the state of the Covenant, and their struggle for power caused an internal rupture, and the Almoravid State lost its primary unity.

As well as the intellectual weakness that struck the Almoravid jurists and their stone on the ideas of people, and the attempt to bind the branches of the doctrine of Imam Malik alone, and worked to prevent the rest of the Sunni sects fanaticism of their doctrine, but burned the books of Imam Ghazali. And the importance of this study and shed more light This study divided into an introduction and three chapters and conclusion Chapter I The emergence of the state Almoravidin, tribes and origins, and their places and their way of life until the emergence of Prince Yahya bin Ibrahim al-Jaddali, and his meeting with the jurisprudent Abu Amran Fassi Sheikh Maliki school, which I choose Abdullah bin to go with him to his country to teach them the things of their religion.

Then the study dealt with the journey of Abdullah bin Yasin in the country of Sanhajah and stressed in the matter of the promotion of Virtue and Prevention of Vice, so as to alienate the people, and offered him. Then he went to a remote island on the advice of Yahya bin Ibrahim al-Jadali, and on that island he established his well-known bond and took people to accept him until he met him about a thousand men called Almoravids, and called them to jihad in the name of allah, The second chapter examines their role in the spread of Islam in Western Sudan through a number of means, including preachers, merchants, and Sufis, and their efforts to purify the pagan kingdom of Ghana and transform them into Islam. These efforts resulted in the establishment of Islamic kingdoms in the western Sudan, Mali and Sangai. Timbuktu, Genie, Kumy Saleh and other commercial cities of Sudan. In the third chapter, the beginning of the Almoravids towards the Maghreb and unification under their leadership, and the leader of the Muslim Emir Yusuf ibn Tashifin, the true founder of the Almoravids, the founder of the city of Marrakesh in 454 AH, and his passport to Andalusia four times to meet the Nasari, The rule of the Almoravids in Morocco for nearly a century until the appearance of Mahdi Ben Tumert, which caused the disruption of state conditions and demise

فهرس المحتويات

المقدمة:

دولة المرابطين دولة إسلامية مغربية، قامت علي الجهاد، ونشر الإسلام، فيما بين القرنين الخامس والسادس الهجريين(11-12م)، ويتناول هذا البحث الدور التاريخي الذي قام به المرابطون في غربي إفريقيا، وما قاموا به من جهود في سبيل إسلام معظم قبائل غرب إفريقيا، وما استتبع ذلك من انتشار الثقافة العربية الإسلامية في المنطقة.

وتمتد المنطقة التي كانت مجال نشاط المرابطين في غرب إفريقيا، بين ساحل البحر المحيط (المحيط الأطلنطي)غرباً، ونهاية السافنا جنوباً، وليس من اليسير تحديد الحدود الشمالية والشرقية تحديداً دقيقاً بالمصطلحات الجغرافية التقليدية، وذلك لعدم وجود حواجز جغرافية طبيعية تعتبر علامات بارزة تحدد بوضوح اتساع الأقاليم الذي تحتوي علي إفريقيا الغربية، ولم تكن الصحراء الكبرى أم النهر ي الكبيري(السنغال والنيجر) اللذان يجريان بمحاذاة حافة هذه الصحراء الجنوبية تحول دون تحركات القبائل المختلفة، أو تعوق تجارتها [1].

وأدي عدم وجود مظاهر تض اريسية بارزة في غرب إفريقيا إلي اختلاط قبائل الملثمين بالزنوج، إلا أن ديار قبائل الزنوج التي كانت تتخطي منحنى نهر النيجر. وبتوغل نحو الشمال، كانت تقف حجر عثرة أمام هجرة القبائل الملثمة، فلما اسلم الملثمون، أخذوا يعملون علي نشر الإسلام بين قبائل السودان الغربي، ومن ثم أخذت هذه القبائل الملثمة تندفع إلي الجنوب من أجل الجهاد، وتدفع بالتالي قبائل السودان نحو الجنوب حتى تم لها أدراك منحنى النيجر [2].

1/ عصمت عبداللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، الطبعة الأولي، دار الغرب الإسلامي، بيروت -لبنان، 1408هـ/ 1988م، ص 15.

2/ حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهر، ص 43.

ويطلق علي الملثمين في الوقت الحاضر اسم الطوارق، وقبائل الطوارق لا تختلف كثيراً عن قبائل الملثمين في العصور الوسطي حتى أن بعض أسماء هذه القبائل ظلت كما هي دون أن تتغير ولا يزال الاحفاد يحسون بصلتهم بالاجداد.

وتحكمت في تاريخ منطقة غرب إفريقيا في العصور الوسطي ظاهرتان عظيمتا الاثر هما:

هجرة بعض قبائل البربر، وقيامها بالإغارة علي تلك القبائل الزنجية التي تسكن المنطقة، هذه الإغارات التي كان لها أكبر الاثر في الاتصال والاحتكاك المستمر بين شعوب شمال الصحراء، وجنوبها.

ثم التجارة التي مارستها قبائل الملثمين مع قبائل السودان الغربي منذ فجر التاريخ، والتي عرفت باسم التجارة الصامتة، تجارة الذهب، والعاج، وريش النعام، والرقيق، في نظير الملح، والمنسوجات التي كان يحملها تجار البربر.

غير أن هذه الهجرات والاتصالات اتخذت طابعاً آخر بعد دخول الاسلام الي شمال إفريقيا، وتوغل القبائل العربية الي داخل القارة مما أوجد نوعاً من الضغط علي قبائل الملثمين، التي أتجهت بدورها صوب الجنوب في حركات مستمرة.

وكان لأسلام قبائل الملثمين، وقيام دولة المرابطين علي أكتاف ثلاث من اكبر قبائلهم هي لمتونة، وجدالة، ومسوفة، أثر بالغ في تاريخ هذه القبائل، بل في تاريخ المغرب والاندلس، فقد كانوا حديثي عهد بالاسلام، واسهموا في حركة الجهاد الذي ادي الي سقوط امبراطورية غانة أقوي ممالك السودان الغربي، في ذلك الوقت.

وفي ركاب المرابطين دخلت الثقافة الاسلامية العربية متدفقة الي غرب إفريقيا من مدارس المغرب والاندلس، وفي عهدهم تم أعظم مجهود في الميدان الثقافي في غرب إفريقيا، حينما أسست مدينة تمبكتو، وازدهرت المراكز الثقافية الاخري مثل

أودغشت، وغانة، وجني، وأنطبعت الثقافة العربية في المنطقة بطابع مغربي واضح، فكان المذهب المالكي هو مذهب هذه الشعوب[1].

ومما يؤسف له، أن هذه الدولة تعرضت لعداوات الكثيرين ممن جاؤوا بعدها من الموحدين، والاندلسين الذين حملوا عليها حملة ظالمة، فمحوا آثارها، وحاولوا النيل منها، وتشويهها، ولم يكن ذلك الا نتيجة للتعصب القبلي، والتعصب الديني والمذهبي وعلي الرغم مما احاط بنشأة دولة المرابطين من الغموض، وندرة المصادر التي عرضت لتاريخها بوجه عام، فقد قام بعض الباحثين المحدثين بجهود صادقة من أجل كتابة تاريخ منصف لهذه الدولة المجاهدة، ولكن معظم هذه البحوث كانت مقصورة علي الفترة المغربية الاندلسية،ولم تتعرض للدور الذي قامت به الدولة في غرب إفريقيا الا القليل[2].

مشكلة البحث :-

1. ما هو الدور الذي قامت به حركة المرابطين فى نشر الإسلام بين القبائل الصحراوية، ودورهم فى السودان الغربي.
2. وما هي المؤثرات الأندلسية والمغربية فى السودان الغربي.
3. ما الدور الذي لعبه ابن تاشفين المالكي فى نشر الشريعة الإسلامية، وما التحول الذي حصل، ودور العلماء بين قبائل السودان الغربي لبث العقيدة الصحيحة.
4. . توضيح اسباب احتكاك قبائل السودان الغربي مع المجموعات البربرية فى منطقة جنوب الصحراء والنتائج التى ترتبت عليها.
5. ما هو دور المراكز التجارية فى غربي إفريقية فى نشر الإسلام بين القبائل الزنجية فى السودان الغربي.

1/ عصمت عبداللطيف دندش، المرجع السابق، ص 17.

2/ عصمت عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 18-19.

أهداف البحث:-

لقد مثل المغرب الإسلامي مسرحاً لأحداث جليلة، ومنها حركة المرابطين وهي موضوع هذه الدراسة، ومن أهداف هذه الدراسة:

1. معرفة الكيفية التى وصلت بها حركة المرابطين من صحراء شنقيط إلى المغرب الأقصي.
2. دراسة الفكر والمذهب الذي ينتمي إليه المرابطون وتأثيره المتشدد على المنتسبين إليه.
3. بروز الدور الذي قام به المرابطين فى نشر الإسلام فى السودان الغربي.
4. معرفة الدور الذي قام به الزعيم السياسي يحيي بن أبراهيم الجدالي، والزعيم الديني الفقيه عبدالله بن ياسين ورباطه.
5. البيئة وتضاريس المنطقة وتأثيرها على الانسان المغربي.

أهمية البحث:-

إن الدعوة الإسلامية رسالة عظيمة أثرت فى كثير من البقاع فى الأرض، ونجد أن الأحداث التى دارت فى المغرب من ثورات دينية كان لها أثر بالغ فى حياة المجتمع في السودان الغربي.

. دراسة حركة جهاد المرابطين فى بلاد السودان الغربي والقاء الضوء على انجازات تلك الحركة الدينية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية فى ظل الحياة القبلية.

. الدول الإسلامية التى تعاقبت على بلاد المغرب بدايةً بدولة الادارسة وحتى دولة المرابطين كان لها دور كبير فى نشر الإسلام بطابعه الديني والسياسي والفكري.

. كان لدولة المرابطين دوراً كبيراً فى القضاء على دولة ملوك الطوائف.

أسباب اختيار الموضوع :-

أخترت هذا الموضوع للبحث لأن الدولة المرابطيةتمسكت بتعاليم إسلامية عظيمة وكان لها دوراً بارزاً فى نشر الاسلام فى الالسودان الغربي ،وذلك بفضل موقعها الجغرافى الحصين، وتركت خلفها ارثاً حضارياً ومعمارياً.

منهج البحث:-

.منهج البحث الوصفي التاريخي والتحليلي.

الدراسات السابقة:-

أنتصار محمد الحسن محمد عثمان، التاريخ السياسي والحضاري للدولة المرابطية فى المغرب والأندلس(430-547هـ\ 1038-1125م)، رسالة ماجستير، 2000م، تناولت الباحثه الجانب الثقافي والأجتماعى مركزاً على دور المرابطين فى الأندلس ولم تتحدث عن علاقة المغرب الأقصي بالسودان الغربي ودور المرابطين فى الاسلام فى هذا الجزء .

. نعمة عبدالسلام الحسن، علاقة بلاد السودان ببلاد المغرب العربي منذ الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الفاطمي، رسالة دكتوراه، 1999م، أهتمت الباحثه بالجانب القتصادي والديني،بين السودان الغربي والمغرب العربي ولم يتحدث عن أصل المرابطين وجهادهم فى نشر الإسلام في السودان الغربي.

. الشيخ الأمين محمد عوض الله، العلاقات بين المغرب الأقصي والسودان الغربي فى عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغي، رسالة ماجستير، 1396هـ \ 1976م،تناول الباحث علاقة البلدين فى عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغي،وعرض على جهود المرابطين فى القضاء على مملكة غانا الوثنية ولم يتحدث عن أصل المرابطين وقيام دولتهم فى المغرب الأقصي.

الحدود الزمانية والمكانية والموضوعية:-

. الحد المكاني: المغرب الأقصي والسودان الغربي.

.الحد الزماني: (448-541هـ\ 1056-1147م) .

. الحد الموضوعي: دولة المرابطين ودورها فى نشر الإسلام فى السودان الغربي

هيكل البحث :-

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول على النحو الآتي:

. المقدمة

. تمهيد: جغرافية بلاد المغرب الأقصي والسودان الغربي.

الفصل الأول: تأسيس دولة المرابطين

المبحث الأول : تأسيس دولة المرابطين

المبحث الثاني: أصل المرابطين

المبحث الثالث: رباط عبد الله بن ياسين.

الفصل الثاني: دور المرابطين فى نشر الإسلام فى السودان الغربي

المبحث الاول: مملكة غانا

المبحث الثاني: دور المرابطين فى أسقاط مملكة غانا

المبحث الثالث: دور المرابطين فى نشر الاسلام فى السودان الغربي

المبحث الرابع: قيام الممالك الاسلاميةفى السودان الغربي مالى وسنغي.

الفصل الثالث:أنطلاقة المرابطين إلي المغرب الأقصي.

المبحث الاول: انطلاقة المرابطين الي المغرب الاقصي.

المبحث الثاني: ظهور يوسف بن تاشفين.

المبحث الثالث: تأسيس مراكش

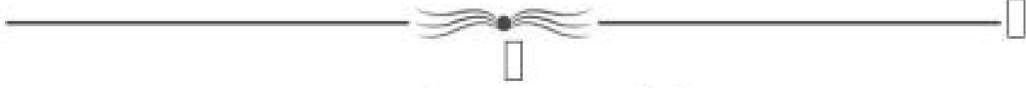
الخاتمة

النتائج والتوصيات

المصادر والمراجع

الملاحق





الفصل الأول

تأسيس دولة المرابطين



المبحث الأول

تأسيس دولة المرابطين

كان موطن المرابطين الأول الصحراء الكبرى، وهي الصحراء الغربية صحراء شنقيط أو ما يسمى اليوم بموريتانيا [1]. وفي هذه الصحراء الشاسعة التي تشبه في مجموعها البلاد الحجازية أرضاً وماشيةً ونباتاً، والتي تحدها من الجنوب بلاد السودان حيث مملكة غانة الكبيرة، وفي الغرب المحيط الأطلسي، وفي الشرق نهري النيجر عندما يتلوى شمالاً إلى جهة تمبكتو، وفي الشمال منطقة سجلماسه التي يقال لها اليوم تافيلالت، وفي هذه الصحراء كانت تعيش قبائل صنهاجة اللثام البربرية، ومن أشهرها قبيلة لمتونة في شمال الصحراء، وتليها جنوباً مسوفة، ثم جدالة بالقرب من السنغال، والنيجر وساحل المحيط، وهذه القبائل الصنهاجية كانت امتداداً لقبائل صنهاجة التي كانت في الشمال والتي تكونت منها الدولة الزيدية في المغرب الأدنى والأوسط وكذلك الدولة الزيدية التي قامت في غرناطة بعد سقوط الخلافة الأموية أيام ملوك الطوائف.

غير أن هذه القبائل الصحراوية الجنوبية تختلف عن أقربائها في الشمال في أنها كانت تتلثم أو تتقنع، ولهذا سميت بصنهاجة اللثام. وقد اختلفت الآراء حول أصل هذه العادة وأغلب الظن أنهم أخذوها من زنوج أفريقيا المجاورين الذين استخدموا الأقنعة لدفع العين الشريرة عنهم[2].

---

(1) محمود شيت خطاب، قادة فتح المغرب العربي، الجزء الثاني، دار الفكر للطباعة والنشر، ط2، 1973، ص 180 .

(2) أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ص 288- 289.

اشتهرت القبائل الصنهاجية في التاريخ باسم الملثمين، وأصبح اللثام شعاراً عرفوا به إلى أن تسموا بالمرابطين ويقال المرابطين الملثمين أيضاً قيل أنهم كانوا يتلثمون على عادة العرب[1]. ويرى بعض المؤرخين أن الملثمين ينتسبون إلى قبيلة لمتونة إحدى بطون صنهاجة، وكانت لمتونة تتولى رئاسة سائر قبائل مسوفة، ومسراتة ومداسة، وجدالة، ولمطة، وغيرها ثم آلت الرئاسة إلى قبيلة جدالة على عهد الأمير يحيى بن إبراهيم الجدالي[2].

ويبدو أن إطلاق أسم الملثمين في بدايته كان خاصاً بقبيلة لمتونة ثم توسع وأصبح شعاراً لكل من حالف لمتونة ودخل تحت اسم سيادتها[3].

يقول المؤرخ والجغرافي أبو عبيد البكري: "وجميع قبائل الصحراء يلتزمون النقاب، وهو فوق اللثام، حتى لا يبدو منه إلا محاجر عينيه، ولا يفارقون ذلك في حال من الأحوال، ولا يميز رجل وليه ولا حميمه إلا إذا تنقب، وكذلك في المعارك إذا قتل منهم القتيل وزال قناعه، ولم يعلم من هو حتى يعاد عليه القناع، وصار ذلك ألزم من جلودهم[4].

وقيل أن سبب تسميتهم بذلك أن أجدادهم من حمير كانوا يتلثمون لشدة الحر [5]. ويذهب إلى هذا الرأي من ظن أن أصل قبائل صنهاجة يرجع إلى الهجرات القديمة من الشرق لأسباب متعددة منها اقتصادية، أو سياسية.

---

(1) أبوالفداء(عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود)، تاريخ أبو الفداء، ج2، المطبعة الحسينية المصرية، ط1، ص 175 .

(2) علي محمد محمد الصلابي، الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1424هـ= 2003م، ص 9.

(3) المرجع نفسه، ص 9 .

(4) البكري محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، ط4، 1997، ص299 .

(5) محمد بن أحمد كنعان، تاريخ الدولة العباسية، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط1، 1998، ص 415 .

ومن الأسباب أنهم آمنوا برسول الله صل الله عليه وسلم وكانوا قلة فاضطروا للهرب لما غلبهم أهل الكفر فتلثموا بقصد التمويه، وقيل: إن طائفة منهم أغارت على عدو لهم فخالفهم إلى مواطنهم وهي خالية إلا من النساء والأطفال والشيوخ فأمر الشيوخ النساء بأن يرتدين لباس الحرب ويتلثمن، ففر الأعداء وهكذا اتخذوا اللثام سنة يلازمونه وارتقى عندهم إلى مستوى رفيع في حياتهم وأعرافهم ومما قيل في اللثام:

قوم لهم درك العلا في حمير ** وإن انتموا صنهاجة فهم هم

لما يلازمونها إحراز كل فضيلة ** غلب الحياء عليهم فتلثموا[1]

وفي الواقع أن هذه القبائل صاحبة اليد الطولى في الدولة المرابطية، بل يرجع إليها الفضل في نشر لواء الإسلام في ربوع أفريقيا، والسودان الغربي لأنها ظلت بعد أن تم إسلامها قروناً طويلة تجاهد قبائل السودان، وتحملها على الإسلام، حتى توجت جهودها بالنجاح.

استطاعت هذه القبائل بعد أن تم تحالفها أن ترفع لواء مذهب مالك في أقاصي الصحراء وأن تخرج من ديارها مجاهدة عاملة على إحياء الإسلام، ونشر لوائه فتم لها ما أرادت من سؤدد، وتأسست دولة المرابطين التي انبسط ظلها في ضحى النيجر في الجنوب حتى البحر الأبيض في الشمال.

هذه القبائل وفيرة العدد، قيل تجاوز السبعين عدداً، كما ذكرها المؤرخون[2].

وبينما كانت أفريقيا في صراع متواصل مع عرب بني هلال وبني سليم من جهة، والنورمان الغازين لسواحلها من جهة أخرى، كانت هناك قوة جديدة أخذت تنبثق في أقصى جنوب المغرب الأقصى، فيما وراء جبال درن، وما لبثت أن تولدت

---

(1)علي محمد محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 12.

(2)حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 39.

منها دولة المرابطين الكبرى التي شملت النصف الغربي من بلاد المغرب، وأنقذت الإسلام الذي كانت تتهدده المسيحية بأسبانيا، ودام عهدها نحو قرن من الزمان، من منتصف القرن الخامس إلى منتصف القرن السادس الهجري.

ففي الوقت الذي قدمت فيه حشود القبائل العربية من مصر تدمر في طريقها عمران طرابلس وأفريقيا، وتقضي على معالم الحضارة في هذه البلاد خرجت قبيلة لمتونة الصنهاجية من جنوب الصحراء، واستقرت في المغرب الأقصى حيث أسست دولة كبرى هي دولة المرابطين[1].

وظهرت بالمغرب الأقصى دولة المرابطين أو الملثمين التي أسسها يوسف بن تاشفين معتمداً على قبائل لمتونة الصنهاجية.

وقد أطلق عليهم اسم المرابطين لأنهم تتلمذوا على (عبد الله بن ياسين) في الرباط الذي أنشأه في المكان الذي اعتزل به الدراسة والعبادة في صحراء المغرب (في جزيرة بالسنكال) وبذلك صار له أتباع سماهم المرابطين[2].

وقد زحف المرابطون على المغرب في عام 447هـ تحت قيادة (عبد الله بن ياسين) فوصلوا إلى تافيلالت، وفي عام 448هـ غزو (السوس) وفي عام 449هـ فتحوا تادلة، وبذا دانت لهم جنوب المغرب وواصلوا مسيرتهم بقيادة (يوسف بن تاشفين) الذي أظهر براعة عسكرية وقدرة على التنظيم العسكري.

وفي عام 455ه شيد يوسف بن تاشفين مدينة مراكش لتكون مركز الدولة[3]

---

(1) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2008م، ص 604.

(2) ابو الطاهر إبراهيم بن عبد الصمد، التنبيه على مبادئ التوجيه ، الجزء الأول، تحقيق محمد بلحسان، دار بن حزم، بيروت، ط1، 2007، ص24 .

(3) إبن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط 2، ص80 .

. ومن أهم آثار المرابطين بها جامع ابن يوسف ويعتبر المعهد الثاني في المغرب بعد جامعة القرويين[1].

كما نجح يوسف خلال تلك الفترة في الاستيلاء على النصف الغربي من المغرب الأوسط وتوحيده مع المغرب الأقصى، كما قام أيضاً بضرب السكة وتقسيم بلاد المغرب إلى عمالات جعل عليها رجالاً أكفاء.

ولذا يعتبر يوسف بن تاشفين هو المؤسس الحقيقي لدولة المرابطين فكون دولة عظيمة، موطدة الأركان مهيبة الجانبأعطاها كيانا دوليا ثابتاً[2].

وقد كانت الرياسة في قبائل الملثمين على العموم للمتونة، التي كانت تنازع جدالة باستمرار حتى كتب لها النجاح، كما كانت الرياسة في لمتونة معقودة لبني ورتنلق الذين أنجبوا ذلك الزعيم يوسف بن تاشفين.

وقد حاول جوتيه أن يشكك في انتساب هذه القبائل كلها إلى الفرع الصنهاجي الأكبر، بحجة اختلاف البيئة، والحياة الاجتماعية، فقد تساءل عن الرابطة بين هذه القبائل المستقرة المتحضرة النازلة بإقليم الجزائر وبين هذه القبائل الملثمة التي تضرب في الصحراء. والواقع أنه ما من مؤرخ معاصر لهذه الحوادث، إلا وقد نسب قبائل الملثمين لصنهاجة[3].

بل إن مرجعاً مادياً معاصراً ينهض لتأييد ما نذهب إليه، فقد ذكر بروفنسال في مجموعة النقوش الأندلسية شاهد قبر لأميرة مرابطية سنة 496هـ (هذا قبر بدر بنت الأمير أبي المحسن علي بن تاشا- (فين) الصنهاجي توفيت رحمها الله).

---

(1) شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1977م، ص 18-19.

(2)عبد الواحد شعيب، دور المرابطين في الجهاد بالأندلس، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ص26.

(3) حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص41 .

كما أن جوتيه نفسه قد ذكر أن المرابطين لما غزوا تلمسان كانت أميرة من صنهاجة أفريقيا تزور المدينة، فلما خافت على نفسها تقدمت للفاتحين، وتؤمن بالقرابة القائمة بين الفرعين، فردوها إلى بلدها مكرمة، ولعل مما يؤيد هذا الرأي ما ذكره المؤرخون من أن هذه القبائل كانت تضرب في شمال أفريقية في بوادي المغرب وسهوله، شأنها شأن أخواتها من قبائل صنهاجة، ولكنها أخذت منذ القرن الثالث الميلادي تهجر مواطنها متجهة صوب المغرب، ثم ما لبث أن انحدرت نحو الجنوب[1].

وقد عرف المرابطون بأسماء أخرى كالصحراويين ولمتونة، كما أن خصومهم من الموحدين الثائرين عليهم فيما بعد نعتوهم بالزراجنة والمجسمين والحشم.

ويشيد المؤرخ والجغرافي أبو عبيد الله البكري (ت 476هـ- 1094م) بشجاعة الملثمين في القتال فيقول: (ولهم في قتالهم شدة وجلد ليست لغيرهم وهم يختارون الموت على الانهزام، ولا يحفظ لهم فرار من الزحف، وهم يقاتلون على الخيل والنجب، وأكثر قتالهم، رجالة صفوفاً، بأيدي الصف الأول القنى الطوال للمداعسة والطعان، وما يليه من الصفوف بأيديهم المزاريق يحمل الرجل الواحد منها عدة يزرقها فلا يكاد يخطئ ولا يشوى)[2].

كان هؤلاء الملثمون في صحاريهم، وكانوا على دين المجوسية إلى أن ظهر فيهم الإسلام لعهد المائة الثالثة، وجاهدوا جيرانهم من السودان فدانوا لهم واستوثق لهم الملك، ثم افترقوا وكانت رياسة كل بطن منهم في بيت مخصوص فكانت رئاسة لمتونة في بني ورتانطق، ولما أفضت الرياسة إلى يحيى بن إبراهيم الكندالي.

---

(1)حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 40-42.

(2)عبد الواحد شعيب، المرجع السابق، ص 14.

وكان له بعير في بني ورتانطق هؤلاء، وتظاهروا على أمرهم، وخرج يحيى بن إبراهيم لقضائه فرصة في رؤساء من قومه في سنة 440هـ، فلقوا في منصرفهم بالقيروان شيخ المذهب المالكي أبو عمران الفاسي، واغتنموا ما متعوا به من هديه وما شافعهم به من فروض أعيانهم من فتاويه.

وسأله الأمير يحيى أن يصحبهم من تلاميذه من يرجعون إليه في نوازلهم وقضايا دينهم، فندب تلميذه إلى ذلك حرصاً على إيصال الخير إليهم لما راى من رغبتهم فيه، وكتب لهم الفقيه أبو عمران إلى الفقيه محمد وكاك ابن زلو اللمطي بسجلماسة، وعهد إليه أن يلتمس لهم من يثق بدينه وفقهه فبعث معهم عبد الله بن ياسين، ووصل معهم يعلمهم القرآن ويقيم لهم الدين[1].

ولما ظهر لعبد الله بن ياسين استقامة لمتونة وجدهم واجتهادهم ، أراد أن يظهرهم ويملكهم بلاد المغرب، فقال لهم: (إنكم قد غزوتم ونصرتم دين محمد صلى الله عليه وسلم- وقد فتحتم ما كان أمامكم وستفتحون - إن شاء الله - ما وراءكم) فأمرهم بالخروج من الصحراء إلى سلجماسة ودرعة وأهلها يومئذ تحت طاعة زناتة المغراويين وأميرهم مسعود بن وانودين وذلك بعد ما خاطبوهم فلم يجيبوهم إلى ما طلبوا منهم فغزوهم في جيش كثيف وأكثرهم على النجب ركباناً ومنهم رجالاً وفرساناً فقاتلتهم لمتونة إلى أن غلبوهم فطلبوا العفو منهم وإدخلوهم سجلماسة فقيل إنهم قتلوا مسعود بن وانودين أميرهم وقيل بل فر أمامهم وأقام بها الأمير يحيى بن عمر مدة أشهر مع إخوانه اللمتونيين[2].

---

(1)عبد الرحمن بن خلدون (73- 808هـ/ 1332-1406م)، دار الفكر، لبنان، بيروت، ط 4، ج6، ص 241-242.

(2)ابن عزارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، دار الثقافة، لبنان، بيروت، ج4، 1967م، ص 13.

الأمير يحيى بن إبراهيم (الزعيم السياسي) :

كان الأمير يحيى سيداً مطاعاً في قومه، خرج هذا الأمير من ديار الملثمين قاصداً بيت الله الحرام، لأداء فريضة الحج وكانت العادة أن يقترن الحج بطلب العلم، وبعد أداء الفريضة،عرجوا في عودتهم على القيروان يبحثون عن المعرفة في مدارس المغرب الفقهية [1]. ورست به الأقدار في حلقة إمام المغرب في زمانه في مدينة القيروان "الإمام أبو عمران الفاسي" * وعرض نفسه على الإمام أبو عمران الفاسي الذي ورث زعامة المدرسة المالكية التي انتصرت على الهيمنة الإسماعيلية العبيدية الباطنية الرافضية، واستردت حريتها كاملة بعد جهادهم المرير الذي أصبح معلماً من معالم أهل السنة في الشمال الأفريقي.

وأعجب الشيخ أبو عمران بالأمير يحيى لما لمسه من حبه للخير وحرصه على التعلم، وتحدث إليه الأمير عن سوء الأحوال في بلاده، وجهل قبائلها بأصول الدين وفروع الشريعة، وطلب من أبي عمران أن يبعث معه أحد طلبته ليعلم قومه أصول الفقه والشريعة الإسلامية.

وتذكر بعض كتب التاريخ أن أبا عمران الفاسي هو الذي وضع الخطوط الأولى مع الزعيم يحيى بن إبراهيم لقيام دولة صحراوية سنية في المغرب على أسس دينية صحيحة كما تستطيع القضاء على الفوضى السياسية والدينية التي كانت في المغرب[2].

---

(1) جميل عبد الله محمد المصري، الزلاقة معركة من معارك الإسلام الحاسمة في الإندلس، ج1، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط18، ص 171 .

(*) ابو عمران موسى الفاسي : أصله من فاس من بيت مشهور إستوطن القيروان وحصلت له بها رئاسة العلم أخذ من كثير من علماء المشرق والمغرب منهم ابو الحسن القابسي، والقاضي ابو بكر الباقلاني . (إبن ابي دينار هو ابي عبد الله محمد بن القاسم)، المؤنس في اخبار أفريقيا وتونس، تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس ص 104 .

(2) علي محمد محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 17.

ولما لم يجد أبو عمران من تلاميذه بالقيروان من يقبل تلبية هذه الدعوة، بعث معه كتاباً إلى تلميذ من تلاميذه بالسوس الأقصى يدعى أبو محمد واجاج بن زلوا اللمطي، فلما مثل لديه يحيى قرأ خطاب الشيخ أبي عمران على تلاميذه، فاتسجاب للدعوة منهم رجل يدعى عبد الله بن ياسين الجزولي، فسار مع الأمير يحيى إلى الصحراء، فاغتبطت بمقدمه لمتونة وكدالة[1].

وكان عبد الله بن ياسين فقيهاً شديد الورع، فأخذ يبث تعاليم الدين بين أولئك البدو الصحراويين، ويبصرهم بأحكام الإسلام، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر[2].وكانوا يتزوجون بأكثر من أربع حرائر فقال لهم ليس هذا من السنة وإنما سنة الإسلام أن يجمع الرجل بين أربع نسوه حرائر فقط[3].

فلما رأوه شدد عليهم في ترك ما هم عليه من المنكرات هجروه، وقد غلب عليهم الجهل، فلما رأى عبد الله بن ياسين إعراضهم أراد الرحيل إلى بلاد السودان، فلم يتركه يحيى بن إبراهيم الجدالي، وقال له: هل لك في رأي أشير به عليك؟ إن ها هنا في بلادنا جزيرة في البحر، إذا انحسر البحر دخلنا إليها على أقدامنا، وإذا امتلأ دخلناها في الزوارق، وفيها الحلال المحض الذي لا شك فيه من أشجار البرية، وصيد البر وأصناف الطير والوحوش والحوت، فندخل إليها فنعيش فيها بالحلال، ونعبد الله..". فقال له عبد الله بن ياسين: "هذا أحسن، فهلم بنا ندخلها على اسم الله فدخلها ومعهما سبعة نفر من كدالة، فابتناها رابطة... فتسامع الناس بأخبارهم فكثر الوارد عليهم، حتى اجتمع له من تلاميذه نحو ألف رجل من صنهاجة، فسماهم المرابطين، للزومهم رابطتهم"[4]. وأخذ يعلمهم الكتاب والسنة والوضوء والصلاة والزكاة، فلما

---

(1) إبن خلدون، المصدر السابق، ص 243 .

(2) محمد عبد الله عنان، دول الطوائف منذ قيامها في الفتح المرابطي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1389هـ- 1969م، ص 301.

(3) السلاوي (شهاب الدين ابو العباس)، الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 2، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ط2، 1997، ص 7 .

(4) نواف أحمد عبد الرحمن، حضارة الأندلس، الجنادرية للنشر والتوزيع، الأردن- عمان، 2015م، ص 101.

تفقهوا في ذلك قام فيهم خطيباً، فوعظهم وشوقهم إلى الجنة، وخوفهم من النار، وأمرهم بتقوى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم دعاهم إلى جهاد من خالفهم من قبائل صنهاجة، وقال لهم: يا معشر المرابطين إنكم جمع كثير، وأنتم وجوه قبائلكم، وقد أصلحكم الله وهداكم إلى صراطه المستقيم، فوجب عليكم أن تشكروا نعمته عليكم وتخرجوا إلى أقوامكم تدعوهم إلى الله، فخرج عبد الله بن ياسين، فجمع أشياخ القبائل ورؤساءهم وقرأ عليهم حجة الله ودعاهم إلى التوبة، فأقام يحذرهم سبعة أيام، ولكنهم لم يستجيبوا إلى دعوة الحق فلما يئس منهم قال لأصحابه: قد بلغنا الحجة وأنذرنا، وقد وجب علينا الآن جهادهم، فاغزوهم على بركة الله، فبدأ بقبيلة كدالة، فغزاهم في ثلاثة آلاف رجل من المرابطين، فهزمهم وأقام شرع الله فيهم وذلك سنة 434هـ[1].

ثم سار إلى قبائل لمتونة فنزل بهم وقاتلهم حتى ظهر عليهم، وبايعوه على إقامة الكتاب والسنة، وعلى ذلك بأيعه قبائل مسوفة، فلما رأى قبائل صنهاجة سارعوا إلى التوبة وإلى مبايعته وأقروا له بالسمع والطاعة[2].

وكان يحيى بن إبراهيم يجانب تفكيره في إخراج قومه من الظلمات إلى النور يفكر في انقاذ قومه من الهيمنة الزناتية الظالمة التي كانت قبائل صنهاجة تعاني من جورها.

لقد رأى الأمير يحيى أن طريق عزة قومه في تمسكهم بالإسلام الصحيح، وقد لاحظ أن كل من حركوا القبائل البربرية وهيأوها لإنشاء الدول، كانوا جميعاً من المتحمسين من علماء الدين، أو أصحاب الدعوات الدينية سواء كانت خارجية بدعية أو إسماعيلية كفرية، أو إدريسية مالكية، من أمثال: ابن الخطاب عبد الأعلى بن

---

(1) السلاوي، المصدر السابق، ص10 .

(2) علي بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص 126.

السمح المعافري الخارجي. لهذه الجولة التاريخية التي مرت في ذاكرته حرص على الاهتمام بالشيخ عبد الله بن ياسين الرجل الفقيه العالم السني ليعلم قومه ويفقههم[1].

كما كان الأمير يحيى يخشى من خطر الجنوب ويهتم بدعوة القبائل الوثنية للإسلام. وبدأ الأمير يحيى في شق طريقه الملئ بالأشواك من أجل إنقاذ قومه وإعزازهم في الدنيا والآخرة، ورجع إلى أهله وعشيرته ومعه الرجل الرباني والفقيه المالكي والمربي الصبور والزعيم الديني الإمام عبد الله بن ياسين[2].

أبو بكر بن عمر اللمتوني:

لما توفي الأمير يحيى بن عمر اللمتوني ولي عبد الله بن ياسين مكانه أخاه أبا بكر بن عمر وذلك في محرم سنة 448هـ وقلده أمر الحرب والجهاد ثم ندب المرابطين إلى غزو بلاد السوس فزحف إليها في جيش عظيم في ربيع الثاني عام 448هـ وجعل على مقدمته ابن عمه يوسف بن تاشفين، ثم سار حتى انتهى إلى بلاد السوس فغزا جزء من قبائلها وفتح مدينة ماسة وتار ودانت قاعدة بلاد السوس وكان بها قوم من الرافضة فقاتلهم عبد الله بن ياسين وأبو بكر بن عمر حتى فتحوا مدينة تار ودانت عنوة وقتلوا بها خلقاً كثيراً ورجع من بقي منهم إلى مذهب السنة والجماعة، وجاز عبد الله بن ياسين أسلاب القتلى منهم فجعلها فيئاً وأظهر الله المرابطين على من عاداهم[3].

استطاع أبو بكر بن عمر أن يعيد الوحدة إلى قبائل المرابطين، ونهض إلى المهمة الكبرى التي حفزه إليها عبد الله بن ياسين، وأعانه فيها ابن عمه يوسف بن تاشفين.

---

(1) الصلابي، الرجع السابق، ص 16 .

(2) علي محمد محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 18-19.

(3) أحمد بن خالد الناصري، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،ص.

زحف المرابطون إلى السوس الأقصى، وقصدوا بلاد المصامدة، و توغلوا في جبال درن، وفتحوا وردة وشفشاوة ونفيس، وثائر منطقة جدميوه، وبايعتهم قبائل تلك المنطقة[1].

بعد أن استقر المرابطون في أغمات أعادوا في سنة 450هـ- 1058م فتح السوس الأقصى، وتساقطت في أيديهم مدنه الواحدة بعد الأخرى.

كانت الخطوة التالية فتح إقليم تامسنا، حيث قبيلة برغواطة التي طال العهد بزندقتها، فقد اعتصمت بإقليمها المتحصن بجبال درن شرقاً وبحر الظلمات غرباً، وظلت بمنأى عن القوى السياسية التي توالت على بلاد المغرب.

قاد عبد الله بن ياسين جيش المرابطين إلى برغواطة، حيث دارت حرب دامت ثلاث سنوات، انتهت في سنة 453هـ/ 1061م إلى انتصار المرابطين، ونهاية دولة برغواطة وعودتها إلى صحيح الإسلام[2].

ونستطيع أن نقول إنه بوفاة عبد الله بن ياسين، وقيام أبي بكر اللمتوني مكانه في الرياسة، تبدأ الدولة اللمتونية أو المرابطية. وهو أبو بكر بن عمر بن تدكاكين، وكان أول ما عني به بعد دفن الإمام هو متابعة حرب برغواطة[3].

ولبث أبو بكر في أغمات بضعة أشهر أخرى، وعندئذ وفد إليه رسول من بلاد القبلة قاعدتهم بالصحراء، ونبأه باختلاف المرابطين هناك، ووقوع الخلاف بين لمتونة ومسوفة، فخشي أبو بكر أن يتفاقم الأمر هناك بين القبائل الشقيقة، وقد كانت الصحراء منبع أمرهم، ومطلع سلطانهم، فقرر أن يعود إلى قومه، ليجبر الصدع

---

(1) محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 305 .

(2)عبادة بن عبد الرحمن رضا كحيلة، المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب ، 1421هـ- 2000م، ص 101.

(3) محمد عبد الله عنان، مرجع سابق، ص 308.

ويوحد الكلمة. وبعد وفاة أبو بكر بن عمر إجتمعت طوائف المرابطين على يوسف بين تاشفين وملكوهعليهم ولقبوه بأمير المسلمين[1].

وبعد ذلك سار إلى بلاد المغرب وتولى زمام الأمور فيها بعد أن أجمع أشياخ المرابطين على إمرته نظراً لما يعرفون من دينه وشجاعته وحزمه وعدله وسداد رأيه. وترك له الأمير أبو بكر جزءاً من جيشه وسار بالباقي إلى بلاد الصحراء في عام 442هـ/1061م حيث قام بإصلاح أحوال الصحراء، ثم واصل جهاده في بلاد السودان فاستولى على كثير من الأراضي وأعلى فيها كلمة الإسلام.

أما في بلاد المغرب فقد قام يوسف بن تاشفين بتوزيع القيادة على فرسان قومه وأنجادهم فاختار أربعة من القواد، وعقد لكل منهم على خمسة آلاف من قبيلته وسيرهم لقتال المعارضين من مغراوة وبني يفرن، وسار هو على باقي الجيش في إثرهم حتى غلب على معظم بلاد المغرب. ثم عاد إلى مدينة أغمات * فاستوثق أمره وذاع صيته[2].

---

(1)ابو الفداء، المصدر السابق، ص 107 .

(*) اغمات بأرض المغرب يقرب وادي درعة بينها وبين نفيس مرحلة : وأغمات مدينتان إحداهما تسمى أغمات وريكة، والأخرى أغمات هيلانة . (الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق : إحسان عباس، دار القلم للطباعة، لبنان، ط1، 1975، ص 46 .

(2) عبد الواحد شعيب ، مرجع سابق، ص 20-21.

المبحث الثاني

أصل المرابطين

تضاربت الروايات التاريخية حول إسم المرابطين وأصلهم، إذ عزا بعض المؤرخين سبب هذه التسمية على إعتصامهم بالرباط الذي أنشأه عبد الله بن ياسين الجزولي في أعالي حوض نهر السنغال عند بداية حركته الإصلاحية، بينما أرجع البعض ظهور هذا الإسم للمرحلة التي أعقبت خروج إنصاره من الرباط لقتال القبائل المعارضة، في حين يستشف من رواية أخرى أن هذا لم يطلق على جيش عبد الله بن ياسين إلا بعد النصر الذي حققه على حساب دولة برغواطة سنة 450ه – 1058م .

والراجح أن هذا الإسم حمل تغيراً في دلالته تبعاً لتطور الحركة المرابطية ذاتها, فقبل إنتقال المرابطين إلى مرحلة الدعوة، أطلق هذا الإسم على مجموعة من الرواة المالكيين الذين كانوا يقصدون مدرسة وجاج بن زلو اللمطي المعروف بدار المرابطين[1]. وأصل المرابطين من صنهاجة الجنوب الضاربة في الصحراء، وقد أرغمت الظروف قبائلها: لمتونة وجدالة ومسوقة على التحالف فيما بينها، وكانت لمتونة تتولى رئاسة هذه القبائل[2].

إن المرابطين هم من قبيلة لمتونة، وهي إحدى قبائل صنهاجة، أعظم القبائل البربرية، وهي فرع من قبيلة البرانس الكبرى،ومنها أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين [3]. وينتمي إلى صنهاجة وعدد كبير من القبائل البربرية مثل مسوفه،

---

(1) إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت –لبنان، ط 1، 1993، ص 7 .

(2) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2008م، ص 604.

(3) إبن الأثير ابوالحسن علي بن ابي الكرم، الكامل في التاريخ، الجزء الثامن، تحقيق عمر عبد السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1997، ص134 .

ومصراتة، ومداسة، وكدالة، ولمطة وغيرها. وقد لعب الكثير منها في تاريخ المغرب أدواراً ملحوظة.

وفي بعض الروايات أن صنهاجة، وهي الأم الكبرى لهذه القبائل ترجع نسبتها إلى العرب اليمانية، وأنها فخذ من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير.

وكانت لمتونة تسكن منذ عصور بعيدة قبل الإسلام في قلب الصحراء ما بين جنوب المغرب والسودان، في تلك المنطقة التي كانت تسمى منذ أيام الرومان إقليم (موريتانيا). وكانت تؤثر حياة الفقر على أية حياة أخرى وكانوا يعتمدون في قوتهم على لحم الإبل ولبنها، ولا يعرفون حرثاً ولا ثماراً، وكان شعارهم (اللثام) ومن ثم فقد عرفوا بـــ(الملثمين) وقيل السبب في ذلك أنهم كانوا يتخذون في أعراسهم نوعاً خاصاً من الحجاب[1]. أو لأنه حدث ذات مرة في بعض حروبهم أن نساءهم كن يقاتلن معهم محجبات، وقيل بل كانوا يقلدون في ذلك قبيلة حمير التي يدعون الانتساب إليها وذكر لنا أبو عبيد البكري، في معجمه (المسالك والممالك)، فيما يتعلق بأمر اللثام الذي يلتزمه المرابطون، أن جميع قبائل الصحراء يلتزمون النقاب فوق اللثام، حتى لا يبدو منه إلا محاجر عينيه[2].

ذكر محمد بن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني صاحب كتاب الإكليل في الدولة الحميرية أن لمتونة فخذ من صنهاجة، وأن الملك أفرقيش بن أبرهة ذي المنار بن الحرث الرائش بن شداد بن الملطاط بن عمرو بن الصوار بن عبد شمس بن وائل بن حمير لما ملك حمير خرج غازياً نحو بلاد المغرب، وأرض أفريقية، فلما توغل

---

(1) محمد عبد الله عنان، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1389هـ- 1969م، ص 299.

(2) حماه الله ولد السالم، تاريخ بلاد شنكيط (موريتانيا)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 2010، ص39 .

بالمغرب بنا مدينة أفريقية، وهي مشتقة من اسمه، وخلف بها من قبائل حمير وزعمائها صنهاجة ليردوا البربر على شاكلتهم ويأخذوا خراجهم ويديروا أمره،[1].

وروا أبو عبيدة عن ابن الكلبي أن افرقيش لما نقل البربر عن الشام ومصر إلى المغرب وبنا مدينة أفريقية وأنزل العرب منازلهم من المغرب ترك فيه قبيلتين من دهانة وهما صنهاجة وكتامة، فهما في البربر إلى اليوم.

وقال الزبير بن بكار أن صنهاج أبا صنهاجة بن حمير بن سبأ ولد حمير بن سبأ لصلبه، وما يعزز هذا الراي ما ذهب إليه محمد بن كنعان(هم في الأصل من عدة قبائل ينتسبون إلي حمير باليمن، وقيل صنهاجة فخذ من هوارة، وهوارة فخذ من حمير يمانيون من ولد الصوار بن وائل بن حمير [2].

وتنقسم صنهاجة إلى سبعين قبيلة، منهم لمتونة، وكدالة، ومسوفة، ...الخ، وفي كل قبيلة بطون وأفخاذ، وهذه القبائل كلها صحراوية، جذر بلادهم في القبلة مسيرة سبعة أشهر طولاً ومسيرة أربعة أشهر عرضاً، من نول لمطة إلى قبلة القيروان من بلاد افريقية، وهي ما بين بلاد البربر وبلاد السودان.

وكان أول ملك منهم بالصحراء بتلوقان بن تلاكاكين الصنهاجي اللمتوني، ملك بلاد الصحراء، ودان له بها أزيد من عشرين ملكاً من ملوك السودان كلهم يؤدون له الجزية، وكان في أيام الإمام عبد الرحمن القائم بالأندلس، ودامت أيامه وطال عمره إلى أن توفي في سنة 222هـ، فولي بعده حفيده الأثير بن فطر بن يتلوتان، فقام بأمر صنهاجة، إلى أن توفي سنة 287هـ[3].

---

(1) إبن ابي زرع، المصدر السابق، ص 119 .

(2) محمد بن أحمد بن كنعان، تاريخ الدولة العباسية وما رافقها من الممالك، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 1998، ص 415 .

(3) علي بن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 119-120.

فولى بعده ولده تميم بن الأثير فأقام ملكاً على قبائل صنهاجة، فقام عليه أشياخ قبائل صنهاجة، فقتلوه وافترق أمرهم، وتفرقت أهواؤهم مدة من مئة وعشرين سنة، إلى أن قام فيهم الأمير أبو عبد الله محمد بن تيفاوت المعروف بتارشتا اللمتوني، فاجتمعوا عليه وقدموه على أنفسهم وكان من أهل الدين والصلاح، فأقام أميراً على صنهاجة مدة من ثلاثة أعوام إلى أن استشهد في غزوة له بموضع يقال له بغارة، وهم قبائل من السودان يسكنون بمقربة من مدينة تاتكلاتين غرباً منها، وهم قوم صالحون على السنة والجماعة، واسلموا على يد عقبة بن نافع الفهري أيام فتحه للمغرب، وهم يجاهدون السودان الذين هم على غير الإسلام، فلما توفي الأمير أبو عبد الله اللمتوني ولي أمر صنهاجة بعده صهره يحيى بن إبراهيم الكدالي[1].

استمر يحيى بن إبراهيم علي رياسته لصنهاجة وقيادتها في حروبها ضد أعدائها حتى سنة 427هـ - 1035م ثم استخلف الرياسة ولده إبراهيم بن يحيى ورحل إلى المشرق مع طائفة من زعماء قومه، ليقضي فريضة الحج.

والظاهر أيضاً أن يحيى الكدالي كان تحدوه في تلك الرحلة مثل أخرى، فهو قد رأى ما كان عليه قومه من التأخر والجهل بتعاليم الإسلام وأصوله، فرحل إلى الشرق يطلب العلم إلى جانب قضاء فريضة الحج[2].

فلما عاد من الحج سنة 428هـ، نزل بالقيروان، وكانت القيروان في هذه الفترة قد نبذت المذهب الشيعي، وعادت إلى السنية، واسترجعت مكانتها القديمة كقاعدة للمالكية، وفي القيروان التقى بالفقيه أبو عمران موسى بن الحاج، ويبدو أن يحيى بن إبراهيم تأثر بتعاليم أبي عمران، فطلب منه أن يبعث معه إلى قبيلته من يثق فيه من

---

(1)علي بن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 121.

(2)محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 301.

طلبته لهدايتهم، فاستجاب لذلك، فوجه الدعوة لهذه المهمة إلى طلبته، ولكنهم زهدوا في قبول هذه المهمة لبعد لمتونة، وكان لأبي عمران فقيه بربري من طلبته كرس حياته لهذه الرسالة السامية، هو وجاج بن زللو اللمطي، ويسميه ابن خلدون محمد وكاك بن زيد اللمطي، وكان مقيماً برباط أقامه ببلدة نفيس من بلاد السوس، وما أن تلقى رسالة أستاذه حتى انتدب ليحيى بن إبراهيم طالباً صاحب الأصل من جزوله، يعرف باسم عبد الله بن ياسين الجزولي، ولم يتردد في قبول هذه الرسالة إذ اعتبرها من صميم رسالته في الجهاد ونشر تعاليم الإسلام الصحيحة[1].

---

(1)السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 605- 606.

المبحث الثالث

الزعيم الديني عبد الله بن ياسين

هو عبد الله بن ياسين بن مكوك بن سير بن علي الجزولي، أصله من قرية "تاماناوت" في طرف صحراء غانة.

درس على فقيه السوس وجاج بن زلو، رحل إلى الأندلس في عهد ملوك الطوائف وأقام بها سبع سنين، واجتهد في تحصيل العلوم الإسلامية، ثم أصبح من خيرة طلاب الفقيه وجاج بن زلو فعندما طلب أبو عمران الفاسي من تلميذه وجاج أن يرسل مع يحيى بن إبراهيم فقيهاً عالماً فإنتدب لذلك رجلاً منهم يقال له عبد الله بن ياسين الجزولي وكان من حذاق الطلبة ومن أهل الفضل والدين والورع والسياسة مشاركاً في العلوم فخرج مع يحيى بن إبراهيم إلى الصحراء[1].

دخل عبد الله بن ياسين مع يحيى بن إبراهيم في مضارب الملثمين من قبيلة جدالة في عام 430هـ/ 1038م فاستقبله أهلها واستمعوا له، وأخذ يعلمهم، فكان تعليمه باللغة العربية لطلبة العلم، والإرشاد الديني للعامة بلهجة أهل الصحراء البربرية[2].

وفي عام 436هـ خرج عبد الله بن ياسين في جيش كبير من المرابطين والتقوا بمسعود بن وانوديت في حروب كبيرة انتهت بانتصار المرابطين وقتل ابن وانودين ومعظم جيشه[3]. ثم دخل ابن ياسين مدينة سجلماسة فقتل من وجد بها من مغراوة وأقام بها حتى أصلح أحوالها وغير ما وجد بها من المنكرات، فأحرق الديار التي كانت تباع بها الخمور، وأزال المكوس، وأسقط المغارم وترك ما أوجب الكتاب

---

(1) السلاوي، المصدر السابق، 7 .

(2) علي محمد محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 23.

(3) عبد الواحد شعيب، المرجع السابق، ص17 .

والسنة تركه، وهكذا طهر سجلماسة من المنكرات ثم قفل عائداً إلى الصحراء بعد أو ولى عليها عاملاً من المرابطين.

وبعد أن توفي الأمير يحيى بن عمر اللمتوني سنة 443هـ قدم ابن ياسين عوضاً عنه للقيادة أخاه أبا بكر بن عمر اللمتوني، وهذه السنة اتجه المرابطون لغزو بلاد السوس، وكان على مقدمة الجيش يوسف بن تاشفين بن عم الأمير أبي بكر، فقاموا بغزو بلاد جزولة ثم فتحوا مدينة ماسة واشتبكوا مع قوم من الروافض الشيعة يقال لهم البجلية نسبة إلى علي بن عبد الله البجلي الرافضي بتارودانت والذي نزل بلاد السوس أيام حركة الخليفة عبيد الله المهدي بأفريقية حيث نشر مذهب الرافضة، فانتصروا عليهم وفتحوا مدينة بتارودانت عنوة وقضوا على الشيعة الوثنيين، وبذلك آلت إليهم كل بلاد السوس. ثم قام ابن ياسين بتنظيم البلاد المفتوحة فنصب عماله، وأمرهم بإقامة العدل وإسقاط المغارم بعد استخلاص الزكاة والعشر[1].

وكان أهل المغرب يتولون أمور بلادهم، وأمراؤهم يتولون الإمارة فيهم إلى أن تغلب كل شخص منهم على موضعه، فمر عبد الله بن ياسين ببلاد المصامدة بعد منصرفه من الأندلس فوجدهم يغيرون بعضهم على بعض يغنمون الأموال ويقتلون الرجال ويسبون الحريم ولا يرجعون إلى طاعة الإمام، فقال لهم عبد الله بن ياسين "ألا تعرفون الله ربكم ومحمداً رسولكم عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام؟" فقالوا له: نعم عرفنا الله ربنا ومحمد نبينا" [2]. فقال لهم عبد الله: فما لكم بدلتم وغيرتم؟ هلا قدمتهم عليكم إماماً يحكم بينكم بشريعة الإسلام وبسنة النبي عليه السلام؟ فقال له بعض أشياخ المصامدة: لا يرضى أحد منا ينقاد إلى حكم أحد من غير قبيلة، فتركهم

---

(1)إبن خلدون المصدر السابق، ص 142 .

(2) عبد الواحد شعيب، المرجع السابق، ص 18.

ورحل إلى بلاد جزولة فكان من أمره مع يحيى بن إبراهيم وجداله ما تقدم ذكره، ثم رحل من جدالة إلى لمتونة فانقادوا له وكان أميرهم يحيى بن عمر أشد انقياداً له. قال بعض المؤرخين في "المجموع المفترق" وفي كتب غير ذلك: أما بعد عام 440هـ قامت قبائل في الصحراء يعرفون ببني وارث وخلفهم لمتونة وجدالة وهم يجاورون البحر ليس بينهم وبينه قبيل غيرهم، وهذه الثلاثةقبائل في ذلك الوقت مسلمون قاموا بدعوة الحق ورد المظالم وقطع المغارم وهم متمسكون بالسنة[1].

وكان عبد الله بن ياسين فقيهاً شديد الورع، والغيرة على تعاليم الإسلام، وخطيباً موهوباً قوي التأثير، فأخذ يبث تعاليم الدين بين أولئك البدو الصحراويين ويبصرهم بأحكام الإسلام، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر. بيد أنه اشتد في مؤاخذتهم، ومطالبتهم بالإقلاع عن تقاليدهم المنافية للإسلام مثل الزواج بأكثر من أربع، وغير ذلك من التقاليد، فساءت العلاقة بينهم فنهبوا داره وهدموها [2]. وعندئذ عول عبد الله وتمليذه وصديقه يحيى بن إبراهيم، على نبذ أولئك البدو والجهلة، والانقطاع إلى العبادة والزهد، في أحد المواضع النائية، وانضم إليهم في ذلك سبعة نفر من كدالة ويحيى بن عمر تلاكاكين من رؤساء لمتونة. ويقول ابن خلدون إن عبد الله بن ياسين وأصحابه انقطعوا للعبادة في جزيرة يحيط بها بحر النيل من سائر جهاتها وهو قول لا يمكن أن يتصرف إلى نهر النيل المعروف لنا، لبعد النيل عن صحراء المغرب الجنوبية بمسافات شاسعة، ولكن تفسير هذا الغموض يرجع إلى أن نهر النيجر كان يظن يومئذ أنه امتداد أو فرع لنهر النيل العظيمبخترق الأقطار السودانية الفرعية [3]. ومن ثم فقد كان نهر النيجر يعرف يومئذ بنهر النيل أو النهر الأعظم وبهذا الاسم

---

(1) ابن عزارى المراكشي، المصدر السابق، ص 10.

(2) حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، مكتبة الخانجي بمصر، ط1، 1980، ص20 .

(3) محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 301- 302.

يسميه الرحالة ابن بطوطة في أقواله عن رحلته في مملكة مالي السوداء، وإذاً فإن الموضع الذي انقطع فيه عبد الله بن ياسين وأصحابه للعبادة كان فيما يرجح جزيرة تقع في منحنى نهر "النيجر" على مقربة من تنبكتو، وهذا ما يؤيد وصف صاحب روض القرطاس[1].

وكان عبد الله بن ياسين اراد الرحيل إلى بلاد السودان الذين دخلوا في الإسلام إذ كان الإسلام بها قد ظهر، فلم يتركه يحيى بن إبراهيم، وقال له إني لا أتركك تتعرف، وإنما أتيت بك لأنتفع بعلمك في خاصة نفسي وديني، وما على فيمن قبل من قومي، وقد أختلف المؤرخون فى تحديد الموضع الذي لجأ إليه ابن ياسين وأقام فيه رباطه . فيرى فريق منهم أنه فى البحر ، يسهل الخوض فى الماء للوصول إليها إذا كان الجزر ، وتركب إليها الزوارق إذا كان المد ، وبعضهم يذكر كلمة البحر الغربي (المحيط الأطلنطي) والبعض الآخر يذكر كلمة البحر فقط كما يذكرون أن الأمير يحيي بن عمر اللمتوني هو الذي أشار على عبد الله بن ياسين الجزولي بمكان هذه الجزيرة [2]، فتسامع الناس بأخبارهم، وأنهم يطلبون الجنة والنجاة من النار، فكثر الوارد عليهم والتوابون فأخذ عبد الله يقرئهم القرآن ويستميلهم إلى الآخرة، ويرغبهم في ثواب الله تعالى ويحذرهم أليم عذابه حتى تمكن حبه منهم في قلوبهم، فلم تمر عليهم أيام حتى اجتمع له تلاميذه نحو ألف رجل من أشراف صنهاجة[3].

ويذهب فريق آخر إلى أن هذه الجزيرة تقع في مصب السنغال الأدنى وأنها في الصيف تصبح صلتها بالبر ميسورة وفي الشتاء تنقسم إلى جزيرات صغرى.

---

(1)محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 302.

(2) عصمت عبد اللطيف دندش ، دور المرابطين فى نشر الإسلام فى غرب افريقيا ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1408ه ، ص 70 .

(3)علي ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 124– 125.

ويرى الباحث أن ما ذكره الفريق الثاني أقرب إلى الصواب، ذلك لأن الرباط لا يبني عادة إلا في المناطق التي تتعرض للغزو، ويتطلب الأمر حشد القوي بقصد الجهاد ورد المغيرين، فلا يعقل والحالة هذه أن يتخذوا هذه الجزيرة الواقعة قرب ساحل المحيط مركزاً لنشاطهم، لأنه لم يكن ثمة خطر يتهدد جدالة، عن هذا الطريق، على حين نجد ممالك الزنوج الواقعة إلى جنوب حوض السنغال تغير على مضارب الملثمين باستمرار وتهدد طرق القوافل، وقد رأينا كيف أن الملثمين والزنوج تبادلا الاستيلاء على مدينة أودغشت، فكان يتعين على عبد الله بن ياسين أن يتخذ نهر السنغال، وهو الحد الفاصل بين مضارب الملثمين ومضارب الزنوج، مستقراً لرابطته بقصد الجهاد ونشر الإسلام في ديار الزنوج ومحاولة وقف عداوتهم وحسر تيارهم[1].

دخل عبد الله بن ياسين وجنده المرابطين أغمات في سنة 449هـ، وأقام بها نحو شهرين حتى استراح جنده، ثم قصد إلى بلاد بني يفرن وهاجم قاعدتهم تادلا واقتحمها، وقتل من بها من بني يفرن، وظفر بلقوط المغراوي فقتله، وكانت زوجه زينب بنت إسحاق النفراوية قد اشتهرت بحسنها ونبلها، فتزوجها الأمير أبو بكر اللمتوني. وبعد أن نظم عبد الله بن ياسين شئون هذه المنطقة سار إلى تامسنا لمقاتلة قبائل برغواطة[2].

وكانت هذه القبائل تدين بمذهب تنافي أحكام الإسلام، أسسه رجل يهودي الأصل يدعى صالح بن طريف البرناطي نسبة إلى برناط وهو حصن من أعمال شزونة بالأندلس، ووفد على منطقة تامسنا منذ أوائل القرن الثاني الهجري ونشر مذهبه بين أهلها، وادعى النبوءة وأنه قد نزل عليه قرآن جديد، كان يتلو بعض سوره، وزعم أنه

---

(1) حسن أحمد محمود، مرجع سابق، ص 125- 126.

(2) السلاوي، المصدر السابق، ص 15 .

المهدي الذي يخرج في آخر الزمان، وجعل الصلوات خمساً في النهار وخمساً في الليل، والصوم في شهر رجب، وأباح لهم الزواج بأي عدد من النساء، إلى غير ذلك. وبمضي الزمن أصبحوا أمة كبيرة يطلق عليها برغواطة، وفي بعض الروايات أن برغواطة تنتمي إلى قبيلة زناتة، ويقول ابن خلدون إنهم من المصامدة، من حيث الموطن والجوار، وهم قبائل شتى لا يجمعهم أصل واحد، وإنما هم أخلاط من البربر اجتمعوا على مذهب صالح بن طريف وأقام هذا الداعي لنفسه رياسة وملكاً في منطقة تامسنا، وشاطئ المحيط الممتد من شمالي أزمور جنوباً حتى أسفي، وتوارث أعقابه وقرابته الملك من بعده.

اشتهر منهم في أواخر القرن الثالث أبو غفير محمد بن معاذ بن اليسع بن صالح، وكان له في البربر وقائع مشهورة. وحارب ملوك العدوتين المغرب والأندلس، من الأدارسة وبني أمية والشيعة، قبائل برغواطة وحاربهم بلكين بن زيري زعيم صنهاجة فيما غزا المغرب سنة 338هـ، ولقبه أميرهم أبو منصور عيسى بن أبي الأنصاري فهزم وقتل، وأمعن بلكين فيهم تقتيلاً، ثم حارب المنصور بن أبي عامر، وهكذا استمرت قبائل برغواطة، هدفاً للأعداء، حتى كان ظهور المرابطين في أوائل القرن الخامس[1].

وهكذا رأى ابن ياسين تقديم جهادهم على جهاد غيرهم، فسار إليهم في جيوش المرابطين، وكان الأمير على برغواطة يومئذ أبو حفص عبد الله بن أبي، فدارت بين الفريقين حروب عظيمة أصيب فيها عبد الله بن ياسين إمام المرابطين بجراح خطيرة أدت إلى وفاته، ودفن بموضع يعرف بكريفلة بتامسنا وذلك سنة 440هـ/1059م[2].

---

(1) محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 305-307.

(2) الصلابي، المرجع السابق، ص 55 .

ولكنه عندما أحس بدنو أجله جمع شيوخ صنهاجة وحثهم على التماسك واختيار من يقودهم فاتفقوا على الأمير أبي بكر بن عمر وهكذا توفي ابن ياسين في سبيل عقيدته ومبادئه، واستطاع هذا الفقيه المتواضع أن يصنع المعجزة، وأن ينشر الإسلام الصحيح في المنطقة الشاسعة الممتدة من جبال درن (جبال أطلس) في الشمال إلى منحنى نهر النيجر في الجنوب.

وصفوة القول، إن عبد الله بن ياسين قد وضع حجر الأساس لدولة المرابطين الذين بلغوا فيما بعد شأواً بعيداً في الجهاد في سبيل الإسلام وبذلوا الكثير من أموالهم ودمائهم حتى أمدوا في عمر الإسلام بالأندلس قروناً أخرى بعد أن أشرفت تلك البلاد على الضياع[1].

رباط عبد الله بن ياسين:

يعتبر ذلك الرباط هو الجهاز الديني السياسي الأول الذي جمع عدداً من الشيوخ والفقهاء وعلى رأسهم "يحيى بن إبراهيم الجدالي" زعيم قبيلة "جدالة" وعبد الله بن ياسين، فقيه الملثمين والذي كان القوة الدافعة لحركة المرابطين من الناحية الدينية، وقد تآزر الأمير السياسي مع الداعية الديني في وضع الخطط الحربية لتسيير حياة الرباط.

تتركز إدارة الرباط من الناحية العملية في هدي الفقيه "عبد الله بن ياسين" وفي يد الأمير "يحيى بن إبراهيم الجدالي" ثم خلفه الأمير "يحيى بن عمر اللمتوني"، في

---

(1)عبد الواحد شعيب، المرجع السابق، ص 19.

رئاسة المرابطين بعد موته، وعن طريق سلطة الفقيه والأمير ومجلس الشورى كان ينعقد ويتم تصريف شئون الرباط وذلك طبقاً لأحكام المذهب المالكي[1].

كان عبد الله بن ياسين الجزولي يبحث عن مكان يمكنه أن يؤدي رسالته بين أقوام أقل ضراوة من اللمتونيين الصنهاجية، وأبى رئيس صنهاجة إلا أن يرافقه، ورحل معهما أبو بكر بن عمر وبلغ عددهم حوالي الألف رجل، فنبذوا عن الناس في ربوة يحيط بها الماء من جهاتها، فدخلوا في غياضها منفردين برسم الانقطاع للعباد[2]. ومن المرجح أن هذه الجزيرة التي قصدها ابن ياسين وأتباعه تقع في السنغال الأدنى، وهناك أسس بن ياسين رباطاً، والرباط من المرابطة أي ملازمة الثغور للجهاد حيث ترابط خيل المجاهدين من قوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) صدق الله العظيم[3].

فالرباط في الأصل هو المكان الذي تجتمع فيه الخيل استعداداً لمقاتلة العدو، وترتبط الكلمة بواجبات الجهاد، وحينئذ يقصد بالرباط ارتباط الخيل إزاء العدو في الثغور، وفيها جاء تصريف مرابط، أي الملازم لثغر العدو لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) [4]. والرباط هو بناء ويجتمع فيه من تفرغ للعبادة من الزهاد والصالحين استعداداً للجهاد في سبيل الله ضد أعداء الدين، فهو بناء يجمع بين الصفتين الدينية والحربية، ويسمى من يسكنه مرابطاً، وقد كان بناء الأربطة من أهم الأعمال التي يقوم بها الأمراء والخلفاء[5].

---

(1) فتحي زغرون، الجيوش الإسلامية وحركة التنصير في دولة المرابطين والموحدين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر – القاهرة، الطبعة الأولى، 1426هـ/ 2005م، ص 22.

(2) جميل عبد الله محمد المصري، المرجع السابق، ص 171 .

(3) سورة الأنفال، الجزء العاشر، الآية : 60 .

(4) سورة آل عمران، الجزء الرابع، الآية : 76 .

(5) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 607– 608.

وضع عبدالله بن ياسين الجزولي شروطاً رآها لازمة لكي لا يتأثر رباطه الجديد ومرحلته التى بدأ الشروع فيها ، فكان ينتقي أطهر الملثمين نفساً وأوفرهم قوة وأقدرهم على تحمل المشاق ، كان يطلب منهم أن يخلوا عن تقاليدهم وأعرافهم وتصوراتهم التى تخالف الإسلام .

وعمل على جاهداً على تحكيم شرع الله على الأفراد وفى مجتمعه الجديد ،وكان يرى أن من فاتته صلاة فى عمره عليه أن يقضيها ، وهي مسألة فقهية أختلف علماء الأمة فيها ، فمنهم من يكتفى بالتوبة النصوح ، ومنهم من يطلب قضاء ما فات[1] .

وكان ابن ياسين يهتم أهتماماً بالغاً بالفقهاء والعلماء ويرفعهم إلى مراتب علية حيث التف حوله مجموعة من الفقهاء ليساعدوه على تربية الناس وتعليمهم وتأهيلهم للمرحلة القادمة .

وكان أهل الرباط فى قمة الصفاء الروحي ، ويعيشون حياة مثالية فى رباطهم ، فيتعاونون على قوتهم اليومي معتمدين على ما توفره لهم جزيرتهم من الصيد البحرى ، يقنعون بالقليل من الطعام ، ويرتدون الخشن من الثياب[2].

كان رباط السنغال الذي أسسه الداعية الرباني عبدالله بن ياسين الجزولي منارة يشع نورها وخيرها وعلمها فى تلك الصحارى القاحلة ، فأصبح قطباً جذاباً ، عاملاً على جذب ابناء قبائل صنهاجة إليه ، ووفر الامن والاستقرار ، فأصبحت القوافل تمر بأمن وسلام دون أن يتعرض لها احد بسوء ، وقد أدى ذلك إلى ازدهار التجارة .

---

(1) على محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص 42 .

(2) احمد بدر ، تاريخ الأندلس ، مكتبة الأطلس ، دمشق ، 1983م ، ص 203 .

وتميز ذلك الرباط بحسن إدارته وتنظيمه مما ساعد على قوة النواة الأولي لدولة المرابطين حيث تشكل مجلس الشورى ، وجماعة للحل والعقد تطورت مع مرور الأيام ، وأصبحت مرجعية عليا للملثمين [1].

وكان ابن ياسين يفرض على من يخالف تعاليمه عقوبات رادعة، ولذلك فإن تعاليم المرابطين تشبه إلى حد كبير تعاليم الخوارج الإباضية، وقد استطاع عبد الله بن ياسين أن يؤلف جيشاً محارباً تحت قيادة يحيى بن عمر، وشرع في نشر تعاليمه بين قبائل صنهاجة[2].

ومن مظاهر هذا التنظيم وجود قيادة مزدوجة، يمثل الجانب الروحي فيها عبد الله بن ياسين، والجانب العسكري يحيى بن إبراهيم، ولعل أكثر ما يميز النظام الجديد بين قبائل صنهاجة الملثمة عن الحلف القديم، ويجعله أقرب إلى نظام الدولة، وجود عقيدة يعتمد عليها ويدعو لها بكل ما تعنيه العقيدة من معنى في تلك العصور [3].

حيث تحتوي على التشريع التنظيمي للحياة الدنيوية إلى جانب التشريع بالنسبة للأمور الدينية.

كان عبد الله بن ياسين المرجع لهم في شئون العقيدة، وقد ظلت فتاواه مجموعة لدى المرابطين حتى آخر أيام دولتهم.

فكان كل من أقبل إليه تائباً منهم طهره بأن يضربه مائة سوط ثم يعلمه القرآن وشرائع الإسلام ويأمره بالصلاة والزكاة وإخراج العشر، وجعل لذلك بيت مال يجمعه فيه، وأخذ يركب منه الجيوش ويشتري السلاح، ويغزو القبائل حتى ملك جميع بلاد

---

(1) السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 209 .

(2)السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 309.

(3)أحمد بدر، المرجع السابق، ص 205.

الصحراء واستولى على قبائلها، وجمع أسلاب المقتولين في ذلك الغزو وجعلها فيئاً للمرابطين، وبعث بمال عظيم إلى طلبة بلاد المصامدة وقضائها واشتهر أمرهم في جميع بلاد الصحراء وبلاد القبلة وبلاد المصامدة وسائر بلاد المغرب وأنه قام رجل بكدالة يدعو إلى الله وإلى طريق مستقيم، ويحكم بما أنزل الله، واشتهر ذلك ببلاد السودان، وتوفي يحيى بن إبراهيم، فأراد عبد الله بن ياسين أن يقدم غيره جمع رؤساء القبائل من صنهاجة، فقدم عليهم يحيى بن عمر اللمتوني وأمره على سائرهم[1].

ويعتقد الباحث أن عبد الله بن ياسين قد استطاع وبفضل زهده وورعه واتباعه المذهب المالكي أن يجمع شتات قبائل صنهاجة ويوحد كلمتها وينشر الإسلام بين كافة القبائل الصحراوية.

أصول المنهجية العلمية الفقهية عند الفقيه ابن ياسين التي ربي عليها أتباعه

يعتبر الفقيه ابن ياسين من علماء أهل السنة والجماعة ,مالكي المذهب ,استمد أصول فهمه من المالكية , إلا انه كان له أجتهاداته الحركيه والتنظيمية التي أملتها عليه طبيعة دعوته , ويري علماء المالكية الذين تتلمذ ابن ياسين علي كتبهم وفقههم أن المذهب المالكي له أصوله في الاستنباط وأستخراج الأدلة الشرعية ومن هذه الأصول :

المصدر الأول : القران الكريم : كان الإمام مالك يري أن القران قد شتمل علي كليات الشريعة , وأنه عمدة الدين , وآية الرسالة , وروي انه كان يقول : إن من يقول بأن القران مخلوق فهو زنديق يجب قتله [2].

إن القران الكريم هو المرجعية العليا لابن ياسين و أتباعه و كان موقفهم الإذعان والتسليم لكل ما جاء فيه ,وما يتعلق بالعقائد أو العبادات أو الأخلاق أو المعاملات ,لإيمانهم العميق بقوله تعالي :

---

(1)علي ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 129.

(2) إيناس حسني البهجي , تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين والموحدين وحتي سقوط دولة بني الأحمر , دار التعليم الجامعي , الأسكندرية , 2015م , ص 60.

(لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد [1].وكان نزير ابن ياسين وفقهاء المرابطين للقران معيناً لهم علي استنباط الأحكام الشرعية[2] .

لقد فهم المرابطون أن القران لم ينزل ليتلي علي الأموات , بل نزل ليحكم الأحياء وأنه لم ينزله الله تعالي إلا من أجل اتباعه و العمل به لقوله تعالي :(وهذا كتاب أنزلناه مبارك فأتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) [3].إن من أسباب قوة المرابطين وتوفيق الله لهم تمسكهم بكتاب الله .

المصدر الثاني : السنة النبوية : اعتمد المرابطون علي السنة النبوية والزموا انفسهم وغيرهم بمنهج الله تعالي .

والسنة عند المرابطين : هي المنهج النبوي المفصل في تعاليم الإسلام وتطبيقة وتربية الأمة عليه , فالقران : هو الدستور الذي يحوي الأصول والقواعد الأساسية اللإسلام وعقائده وعباداته وأخلاقه , ومعاملاته.

والسنة : هي البيان النظري والتطبيق العلمي للقران في ذلك كله [4].

رأي علماء المرابطين وجوب أتباع الرسول (ص) في أفعاله وأقواله مستندين بقوله تعالي : (يا أيها الذين امنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول) [5].وقوله تعالي : (وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فأنتهوا) [6].

ودلت احاديث كثيرة علي وجوب اتباع النبي (ص) , ولذلك سعي المرابطون لتحقيقها في حياتهم , روي أبوهريرة أن النبي (ص) قال : (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي , قيل من يأبي يا رسول الله, قال : من أطاعني دخل الجنة , ومن عصاني فقد أبي) [7] .إن قبائل صنهاجة الذين عرفوا بالملثمين ثم أطلق عليهم اسم المرابطين ظهرت آثار التزامهم بسنة النبي (ص) في كل مناشط حياتهم , وغيرها من الأمور التي كونوا بها دولتهم المعروفه [8].

---

[1] سورة فصلت , الأية : 42 .

[2] علي محمد محمد الصلابي , المرجع السابق , ص 50 .

[3] سورة الأنعام , الأية : 155 .

[4] إيناس حسني البهجي , المرجع السابق , ص 62 .

[5] سورة النساء , الاية : 59 .

[6] سورة الحشر : الأية : 7 .

[7] البخاري (محمد بن إسماعيل أبو عبد الله) , صحيح البخاري , ج9 , تحقيق : محمد زهير بن ناصر , دار طوق النجاة , 1422هـ , ص 92 .

[8] إيناس حسني , المرجع السابق , ص 64 .

المصر الثالث : عمل أهل المدينة : الذي أهتمت به المدرسة المالكية المغربية السنية , عموماً عمل أهل المدينة حيث أنها دار الهجرة , وبها تنزل القران , وأقام رسول الله ومعه أصحابه بها , وسار فقهاء الدولة المرابطية وعلي رأسهم عبد الله بن ياسين علي هذا الطريق .

المصدر الرابع : قول الصحابة : جعل المالكية قول الصحابي الذي لا يعرف له مخالف حجة , واعتمدوا في ذلك علي ما ذكر الإمام مالك في (الموطأ) , وحين تتعد أقوال الصحابة في المسألة الواحدة يختار علماء المالكية من أقوالهم ما يتفق مع عمل أهل المدينة[1].

المصدر الخامس : المصالح المرسلة : أعتبر المالكية المصالح المرسلة دليلاً شرعياً في الحياة , وأصلوا لها أصولاً في جلب المنفعة , ودفع المفسدة ,وقاسوا بهذه القواعد الأمور التي لم يشهد لها في الشرع بإبطال ولا بأعتبار معين , لأن تكاليف الشريعة ترجع إلي حفظ مقاصدها في الخلق , والمقاصد إما ضرورية أو حاجية أو تحسينية .

المصدر السادس : القياس : وهو من أصول المنهجية العلمية التي سار عليها ابن ياسين وربى عليها أتباعه .

المصدر السابع : سد الزرائع :سار عليه ابن ياسين في منهجه العلمي في تأصيل أصول فقه مذهبه , وسار علي نهج فقهاء المالكية في الأقتداء بالإمام مالك – رحمه الله – الذي أكثر أكثاراً شديداً من العمل بسد الزرائع , حتي أعتبر بعض العلماء العمل بها من خصوصيات مذهبه[2].

جهاد عبد الله بن ياسين:

لقد سار ابن ياسين في دعوته لقبائل الملثمين الصنهاجية سيرة حسنة، ثم تدرج من مرحلة التعريف إلى التكوين ثم التنفيذ حيث شرع في قتال القبائل التي لم تحترم أو تقدس حرمات الله، وأزال المنكرات واعتبر ذلك جهاداً في سبيل الله.

إن إعلان الجهاد على القبائل التي تفشت فيها المنكرات جاء بعد إعداد وشورى من أهل الحل والعقد، وبعد أن أصبحت لهم شوكة قوية وإمام مطاع، ومجلس من العلماء والفقهاء يقبلون أمور السلم والحرب[3].

([1]) الصلابي , المرجع السابق , ص 53 .

([2]) إيناس حسني , المرجع السابق , ص 65-66 .

(3)علي محمد محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 93.

ويكفي هؤلاء الأبطال على صحة جهادهم ما رواه مسلم في صحيحه عن النبي صل الله عليه وسلم أنه قال: (ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون، وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس من وراء ذلك من الإيمان حبة خردل)(1).

والجهاد فى سبيل الله من أخص صفات المرابطة ، ولكن عبدالله بن ياسين الجزولي لم يأذن للجماعة بأن تخرج من الرباط مجاهدة قبل أن يتم تنظيمها على النحو الذي يكفل لها الظفر والنجاح ، لأن الحمية والحماس لا تجديان إذا لم يقترنا بالتنظيم الدقيق ، والإعداد الطويل .

ليس من شك فى أن عصبة المرابطين أخذ عددها يزيد بمضي الوقت ، ولكن عبدالله بن ياسين الجزولي آثر أن لا يسارع إلى القتال إلا بعد أن ينظم المجتمع الجديد على أسس سليمة . كان يعرف أن المجتمع الجديد فى حاجة إلى المال للانفاق على الجند ، وابتياع السلاح ، فكان عليه أيضاً لكي يتم له تنظيم الجيش أن يختار له قائداً بعد أن توفى يحيي بن ابراهيم الجدالي[2] .

وقد واجه أزمة كادت تعصف بوحدة المرابطين ، وتفرق شملهم فقد كان الجداليون من أنصاره يرون أنهم أحق بالإمارة ، ولكن عبدالله بن ياسين الجزولي لم

---

(1)ابو الحصين مسلم بن الحجاج القشيري، المسند الصحيح، الجزء الأول، تحقيق : مجموعة من المحققين، ط1، 1334ه، ص50 .

(2) حسن احمد محمود ، المرجع السابق ، ص 147.

يهن ولم يضعف ، إنما جمع مجلساً من وجوه القوم ، وحكم على المحرض على الفتنة بالموت جزاء خيانته[1].

واتخذوا القرآن دستوراً لهم عملاً بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)[(2)].

حاول ابن ياسين أن يكون جيلاً قادراً على الدعوة الإسلامية فشرع يعدهم للحرب ويزكي في نفوسهم مبادئ الدين، ويخلق فيهم وعياً جديداً ويكون فيهم طبقة فدائية للقضاء على البدع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقضاء على كل المفاسد الدنيوية.

أيقن ابن ياسين أنه قد وصل إلى مرحلة إعلان الجهاد، خرج من رباطه يعلن كلمة التوحيد، وينفذ السياسة التي سبق أن وضعها واستعد لها فترة من الزمان، واستهل حركته الجهادية بالتوجه إلى غرب أفريقيا حيث الوثنية على أشدها، وحيث الإسلام غريباً بين فئات السكان، ووصل إلى منحنى نهر النيجر ودخل مدينة أودغست عاصمة غانا وخلصها من ملوكها، وبسط سلطان المسلمين على هذه الدولة بعد معارك ضارية[3].

وكان النصر الذي تحقق على إمبراطورية غانا بداية مرحلة جديدة من التوسع الإسلامي فأقبلت جماعة الملثمين تعلن الانضمام إلى الدعوة المحمدية بل واندفع المرابطون في كل مكان دفاعاً عن الدين ووقفوا في وجه المسيحيين في الأندلس، وانضمت القبائل إلى جانب عبد الله بن ياسين، واضطرت قبيلة لمتونة إلى الدخول في

([1]) عبدالله عبدالرازق ابراهيم ، وشوقي الجمل ، دراسات في تاريخ غرب افريقيا الحديث و المعاصر ، القاهرة ، 1998م ، ص 10 .

(2)سورة آل عمران، الجزء الرابع، الآية: 200.

([3]) حسن احمد محمود ، المرجع السابق ، ص 148.

الحركة التي استمرت تكسب قوة بعد قوة، وتزداد انتشاراً واتساعاً بعد إسلام بدو الصحراء وبعد القضاء على ناحية الجنوب[1].

وتمخضت هذه الجهود عن إسلام شعب التكرور في غرب القارة، والذي كان لإسلامه الدور الأسمى في متابعة مراحل الجهاد، واضطرت القبائل التي لم تقبل الدعوة الإسلامية إلى البحث عن أماكن، أخرى بعيداً عن رايات التوحيد، فهاجرت إلى الجنوب، والفولى إلى منطقة فوتاترو، وتأسست المدن الجديدة التي صارت منارات للعلم والإيمان، فظهرت مدينة جنى التي أسلم أهلها في القرن الثاني عشر الميلادي[2].

ولعل السؤال الذي يطرح نفسه: لماذا اتجه المرابطون إلى بلاد المغرب؟

لقد اختلفت الآراء لهذا الاتجاه نحو المغرب، فيرى البكري أن ابن ياسين اخضع الصحراء واستجابت له الجماعات المحلية التي قبلت شروطه، وتفقه منهم جماعة على يد عبدالله بن ياسين، ووافقت على توجيهاته كما أن عبد الله بن ياسين لقي تشجيعاً من أستاذه وجاج زالو فراح ينشر مبادئه شمالاً في أقاليم المغرب([3].

لكن السبب الأهم والأقوى هو الوضع السياسي في مراكش عند بداية الغزو، فلقد كانت طوال القرن العاشر الميلادي تعاني من التنافس الديني ما بين الفاطميين في أفريقيا والأمويين في أسبانيا. لكن نتيجة لانشغال الفاطميين بحملتهم إلى الشرق نحو مصر وانشغال الأمويين بصراعهم مع المسيحيين في الأندلس، تأثر المركز الثقافي والسياسي بالصراعات ما بين صنهاجة وزناتة.

---

(1)عبد الله عبد الرازق إبراهيم، شوقي الجمل، المرجع السابق، ص 11.

(2) عبد الله عبد الرازق ، وشوقي الجمل ،المرجع السابق ، ص 12.

(3) إبن الوردي (عمر بن مظفر بن عمر)، تاريخ بن الوردي، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996، ص 345 .

على كل حال فإن غزو المرابطين للمغرب لم يؤثر على هذه الحركة واتجاهها جنوباً حيث استطاع عبد الله بن ياسين دخول مدينة أودغشت.

وبعد أن استولى عليها في عام 1055م تدفقت قوات المرابطين جنوب الصحراء الكبرى وسيطروا على طرق التجارة الصحراوية، فانتشر الدين الإسلامي، في هذه الربوع رغم انشغال المرابطين بجبهات أخرى[1].

وواصل المرابطون زحفهم في مناطق الصحراء حتى أراضي بروجاوتة حيث مات ابن ياسين أثناء صراعه مع هذه الجماعات في عام 1059م وواصل أبو بكر الحرب حتى قضى على هذه الجماعات.

وخلاصة القول إن دولة المرابطين قد استوعبت الفكرة الإسلامية استيعاباً جيداً ثم انطلقت حركة نشطة توجه وتهدي وعلى رأسها قيادة قوية حازمة، وقد شملت تلك الحركة جميع المستويات في دولة المرابطين حكومة ودعاة وقواداً وعمالاً، وقد كانت تلك القيادة بصيرة بأهدافها واعية لما ترمي إليه، لذا نجحت حركة التغيير وكفلت لأصحابها قيام دولة إسلامية عظمى[2].

---

(1) عبد الله عبد الرازق إبراهيم، وشوقي الجمل، المرجع السابق، ص 13-14.

(2)فتحي زغرون، المرجع السابق، ص 33.

الفصل الثاني
دور المرابطين في نشر الإسلام في السودان الغربي

المبحث الأول : مملكة غانة .

المبحث الثاني : الرابطون ومملكة غانة .

المبحث الثالث : دور المرابطين فى نشر الإسلام فى السودان الغربي .

المبحث الرابع : قيام الممالك الإسلامية في السودان الغرب (مالي وصنغاي)

المبحث الأول

مملكة غانة

تعتبر إمبراطورية غانة أقدم الإمبراطوريات الأفريقية التي قامت بالسودان الغربي، وقد بلغت هذه الإمبراطورية ذروة مجدها وعظمتها من حوالي القرن التاسع الميلادي إلى منتصف القرن الحادي عشر[1].

وكانت هذه المملكة تقع في المنطقة الممتدة بين ماهو الآن جنوب شرقي موريتانيا وغرب مالي وغرب السنغال وشرق غينيا (كوناكري) والتي عرفت آنذاك بلغة البلاد باسم أغادو، وقد سميت دولة غانة الحديثة باسم تلك الدولة اعتزازاً بدورها التاريخي في غرب أفريقيا وإن لم تكن قد قامت في مكانها الجغرافي تماماً، اقتبست مملكة غانة أسمها من المدينة التي كانت عاصمة للدولة أي مدينة غانة، وبعد القرن التاسع الميلادي عرفت العاصمة باسم كومي صالح وهي الآن مندثرة وتقع في جنوب شرق موريتانيا[2].

ومعنى كلمة غانة في لغة السوننكي "القيادة العسكرية" وهنا أطلقت هذه الكلمة على المدينة التي كانت بها هذه القيادة. ويرى البكري أن كلمة "غانة" كانت سمة لملوكهم ربما لأنها تحمل معنى "القائد العسكري" ثم اتسع مدلول الكلمة فأطلق على العاصمة التي يعيش فيها الملوك، يقول ياقوت الحموي "غانة مدينة كبيرة في جنوبي بلاد المغرب متصلة ببلاد السودان" واتسع مدلولها مرة أخرى فصارت علماً على المملكة كلها، مع بقائها علماً على العاصمة [3]. كما تطلق كلمة مصر على العاصمة وعلى القطر وغيرها ولهذا يتحدث القلقشندي والمقريزي عن هذه الكلمة بهذين

---

(1) إبراهيم طرخان، المرجع السابق، ص 15.

(2) محمد فاضل وآخرون، مرجع سابق، ص 57.

(3) دنيس بولم, الحضارة الأفريقية, ترجمة: علي شاهين, دار مكتبة الحياة, بيروت,ص 48.

المعنيين وعبارتهما واحدة تقريباً هي "وبحديثه غانة محل سلطان مدينة غانة." ويقول علي بن سعيد عنها: ومدينة غانة على ضفتي النيل "يقصد النيجر" وبها محل سلطان غانة".

وقد عثر الفرنسيون على أطلال مدينة بالقرب من كومي صالح يعتقد أنها هي كومي عاصمة غانة القديمة، وتقع كومي صالح على بعد حوالي مائتي ميل شمال باماكو ويذكر Paikar أنه يوجد يقين معقول قائم على الحقيقة أن كومي هي البلد الوحيد الذي ورد ذكره في المراجع الوسيطة، وأن الأساطير المحلية تربط ما بين كومي صالح وغانة، والخرائب التي عثر عليها في كومي ذات أهمية كبيرة، وتعبر عن فن معماري على جانب كبير من الإتقان، وكل هذا يجعلنا نعتقد أن هذه العواصم تتشابه في طابعها المعماري[1].

وحينما اتسعت غانه امتدت من نهر النيجر إلى ساحل الأطلسي غرباً، وشمالاً عند حافة الصحراء الكبرى، وقد ذكر الإدريسي الجغرافي أن أرض غانه تتصل غرباً ببلاد مغزاوة، ومن شرقها ببلاد الذهب ونقارة، ومن شمالها بالصحراء المتصلة التي بين أرض السودان وأرض بربر وتتصل من جنوبها بأرض الكفار من اللملية (أكلة لحوم البشر) وغيرها[2].

تمكنت الأسرة الأولي, التي تألفت من أربعة وأربعين ملكاًمن تأسيس مملكة غانه في القرن الرابع الميلادي من قبل جماعة من البيض علي الأغلب، ثم جاءت عائلة حاكمة من السود في القرن الثامن الميلادي[3].

---

(1) أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج6, مكتبة الأنجلو المصرية, القاهرة, ط13، 1988م ص 202،

(2) عبد الرحمن زكي, تاريخ الدول الإسلامية السودانية بافريقيا الغربية, المؤسسة العربية الحديثة, القاهرة, 1961م, ص171،

(3) دنيس بولم, المرجع السابق, ص 49.

ثم استطاع أحد الشعوب الماندي وهو السوننكة وكانوا تابعين لغانة، في أواخر القرن الثامن أن يخلع تبر غانة ويرثها ويستولي على الحكم سنة 770م[1].

وقد اختلطت دماء سكان غانة البيض بدماء السوننكة عن طريق التزاوج وهاجر هؤلاء البيض بعد سقوط دولتهم إلى بلاد التكرور التي تمتد في شمال السنغال إلى منطقة "فوتا". وتقطنها شعوب ثلاثة هم: التكرور، وكانوا يكونون الطبقة الحاكمة، والولوف والبربر، وقد أصهر هؤلاء البيض إلى طبقة التكرور، واستطاعت بذلك أن تسيطر على الأحزاب السياسية في هذه البلاد حتى نهاية القرن الحادي عشر الميلادي حين استطاع التوكولدر أن يتخلصوا منهم. وفي هذ الوقت كان هؤلاء البيض قد أصبحوا أفريقيين شكلاً وموضوعاً. وهم يسمون الآن "الفلاني".

ويبدو أن سلطة ملوك غانة من السوننكي كانت أقوى من سبقهم فقد أخذوا يوسعون رقعة بلادهم حتى بلغت أوج عزها في مستهل القرن الحادي عشر الميلادي، فبلغت "تمبكتو" في الشرق، ومنابع النيجر في الجنوب الشرقي، ومنابع السنغال في الجنوب والجنوب الغربي، وحدود التكرور في الغرب، أما حدود هذه المملكة وهي في أوج قوتها فإنه يصعب تحديدها. ولكن يمكن أن يقال إنها تقع إلى الجنوب من منازل القبائل المغربية ويظهر أن كلمة غانة في الأصل اللقب الذي كان يحمله ملوك هذه البلاد ثم توسعت في معناها فشملت كلاً من الإمبراطورية والعاصمة[2].

وقد جاءت عظمة غانة عن طريق اشتغالها بالتجارة وموقعها عند أطراف الصحراء الكبرى. وكان التجار البيض المستقرون يستطيعون التحكم في التجارة السودانية من الذهب والرقيق، وأن يبادلوها بالسلع التي تحملها القوافل في المغرب

---

(1) عبد الرحمن زكي، المرجع السابق، ص 71.

(2) حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص 97- 98.

الأقصى، وهي ملح الطعام والنحاس، والفواكه المجففة. ويوجد الذهب في بلاد تسمى ونقارة، وكانت تقع خارج حدود مملكة غانة، وكانت شعوب الماندنجو يستخرجون الذهب من هذه الجهات ويبادلونه بالملح والسلع الأخرى المجلوبة من غانة. ويتم التبادل بطريقة تسمى التبادل الصامت. ذلك أن تجار غانة يضعون متاجرهم على شاطئ أحد الأنهار، ثم يختفون عن الأنظار، فيقدم أصحاب التبر إلى هذا المكان ويضعون بجوار هذه السلع قيمتها تبراً، ثم ينسحبون فيظهر أهل غانة من مخابئهم، فإذا رضوا بكمية الذهب أخذوها، وإن لم يرضوا اختفو مرة أخرى حتى تزداد الكمية وكانت هذه الطريقة في المبادلة شائعة في القارة الأفريقية في العصور الوسطى.

وكانت تجارة الذهب تلعب دوراً هاماً في اقتصاديات العصور الوسطى، فكانت تصدر إلى البلاد المغرب وإلى غرب أوروبا، وفي الوقت الحاضر يستخرج الأفريقيون من هذه المناجم 140.000 أوقية في السنة. وقد تمتعت غانة في ظل ملوكها من السوننكي بحكومة مستقرة وأمن مستتب مدة قرنين من الزمان. وازدهرت تجارة الذهب وطبقت شهرة غانة الآفاق، وجاءها كثيرون من مسلمي أفريقية فاستقروا فيها وزاولوا التجارة أو الأشغال في الوظائف، وبنوا لأنفسهم مدينة من الحجر بعيدة عن المدينة الوطنية المبنية من الطين والقش[1].

وكان سادة غانة الجدد من السوننكة أقوى من سكانها القدامى، وكان سلطانهم أوسع، وجدير بالذكر أن دولتهم كانت تسمى غانة أيضاً، وكان يطلق على ملوكها لقب كيمغ أو قيمغ كذلك[2].

---

(1)حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص 98.

(2)حسين مؤنس، الإسلام الفاتح، رابطة العالم الإسلامي، ص 94.

غانة في مؤلفات العرب:

يرجع أول نص عربي لا لبس فيه، عن السودان الغربي فيما دونه ابن عبد الحكم المؤرخ العربي (803– 870م) وذلك عندما تحدث عن حملة جردت إلى سوس جنوبي مراكش والسودان عام 734م فقال: "وغزا عبيد الله بن أبي عبيدة الفهري السوس وأرض السودان فظفر بهم ظفراً لم ير مثله وأصاب ما شاء من ذهب، وكان فيما أصاب جارية أو جاريتان من جنس تسمية البربر أجان.

وفي اقل من عشرين سنة بعد ذلك نظم عبد الرحمن بن حبيب طريق القوافل بين جنوبي مراكش وأودغست، وذلك بأن حفر عدة آبار ماء جديدة، وقد تكلم عن هذا الطريق مؤلف كتاب الاستبصار (حوالي عام 1192م) قائلاً إنه يخرج من نهر درعة إلى غانة. ونلاحظ أن عبد الحكم لم يذكر صراحة غانة فيما كتبه، مع أنها كانت موجودة في أيامه (قبل عام 870م). وكان أول من ذكرها من العرب، الفزارى الفلكي الذي ذكر قبيل عام 800م عدة بلاد أفريقية منها إقليم غانة بلاد التبر، ثم الخوارزمي الجغرافي (قبيل عام 833م) الذي حدد غانة في خريطته التي نقلها عن بطليموس[1].

وفي القرن التاسع الميلادي تكلم عن غانة كل من اليعقوبي، وابن الفقيه الهمزاني الذي وصف صحراء غانة في كتابه كتاب البلدان وذكر أن الذهب في رحالها مثل نبات الجزر ويعيش سكانها من نباتي الذرة واللوبياء ويلبسون جلود النمور لكثرة هذه الحيوانات في بلادهم[2]. ويعد الرحالة ابن حوقل الذي زار غانة في القرن العاشر الميلادي، أول من قدم وصفاً عن غانة بأم العين، فوصف ملوك هذه الدولة في كتابه كتاب المسالك والممالك بأنهم أغنى ملوك على وجه الأرض بفضل

---

(1) عبد الرحمن زكي، المرجع السابق، ص 72.

(2) الهمداني (أبو عبد الله أحمد بن محمد)، البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1996م، ص 138.

امتلاكهم مناجم ذهب، كذلك كتب عن غانة في ذلك القرن أيضاً المسعودي في كتابه أخبار الزمان ومن إبادة الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران. وفي القرن الحادي عشر الميلادي كتب البكري عن غانة في منطقة المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، أما الشرقي المتوفى عام 1222م فذكر أن غانة بلد مملكة السودان وانتشر الإسلام في أهلها وبها مدارس للعلم وبها من تجار المغرب كثير يدخلون للتجارة فيصيبون الخصب والأمن وكثرة المتاجرة فيشترون بها خدماً للتسري ويقيمون بها عند أميرها في غاية الكرامة[1].

ويتكلم عن غانة أيضاً الإدريسي خلال القرن 12 الميلادي في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق قائلاً: "ومن مدينة غانة إلى أول بلاد ونقارة ثمانية أيام وبلاد ونقارة هذه هي بلاد التبر المشهورة بالطيب والكثرة وهي جزيرة طولها ثلاثمائة ميل وعرضها مائة وخمسون ميلاً والنيل يحيط بها من كل جهة في سائر السنة فإذا كان في شهر أغست وحمى الغيظ وخرج النيل وفاض غطى هذه الجزيرة أو أكثرها وأقام عليها مدته التي من عادته أن يقيم عليها ثم يأخذ في الرجوع فإذا أخذ النيل في الرجوع رجع كل من في بلاد السودان المنحسرتين إلى تلك الجزيرة بحاثاً يبحثون طول أيام رجوع النيل فيجد كل إنسان منهم في بحثه هناك ما أعطاه الله سبحانه كثيراً أو قليلاً من التبر[2].

أما ياقوت الحموي فقد ذكر في القرن الثالث عشر الميلادي أن غانة مدينة كبيرة جنوبي بلاد المغرب متصلة ببلاد السودان يجتمع إليها التجار ومنها يدخل إلى بلاد

---

(1)محمد فاضل وآخرون، المرجع السابق، ص 59.

(2)الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الأول، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422هـ/2002م، ص 24.

التبر. وبالإضافة إلى هؤلاء الكتاب تطرق كل من القلقشندي (توفي 1418م) والفقيه محمود كعت (1463- 1548م) والمؤرخ الأفريقي المسلم عبد الرحمن السعدي (1595- 1656م) للحديث عن غانة في كتاباتهم[1].

وقد ذكر محمود كعت (.. إن دولة مالي (ماندنجو) قامت بعد سقوط أسرة كايا ماجه *Kayamaga التي امتد نفوذها على جميع الأراضي الغربية بدون استثناء.. وقبيل ذلك كان كبير مالي من توابع كايا ماجة، وكان اسم حاضرتهم كومي).

ولم يصل إلينا من أحوال شعب غانة إلا القليل، كان يزرع الدخن وبعض الحاجات ويشتغل فريق من الأهالي في صيد الأسماك، وكانوا يلبون نداء الملك لحمل السلاح في أثناء الأزمات[2].

ويصف الإدريسي أحوال ملوك غانة فيقول:

"... وغانة (الحاضرة) مدينتان على ضفتي النيجر وهي أكبر بلاد السودان طراً وأكثرها خلقاً وأوسعها متجراً وإليها يقصد التجار المياسير من جميع البلاد المحيطة بها من سائر بلاد المغرب الأقصى وأهلها مسلمون وملكها فيها يوصف من ذرية صالح بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب وهو يخطب لنفسه، وله قصر على ضفة النيل (النيجر) قد أوثق بنيانه وأحكم اتقانه وزينت مساكنه بضروب من النقوش والأدهان والشمسيات الزجاج، وكان بنيان هذا القصر في عام 510م وتتصل مملكته وأرضه بأرض ونقارة وهي بلاد التبر، والذي يعلمه أهل المغرب الأقصى أن له في قصره لبنه من ذهب وزنها 30 رطلاً من ذهب تبرة واحدة خلقها الله خلقة تامة من غير أن تسبك في نار أو تطرق بآلة، وقد نقر فيها ثقب

---

(1) محمد فاضل وآخرون، مرجع سابق، ص 60.

* كايا ماجة في لغة أووا كورس معناها ملك الذهب، وكلمة Kaihau معناها الذهب و maga ملك.

(2) ياقوت الحموي (شهاب الدين بن عبد الله ياقوت)، معجم البلدان،ج4، دار صادر بيروت، ط2، 1995م، ص 184.

وهي مربطة لفرس الملك، وهي من الأشياء المغرية التي ليست عند غيره وهو يفخر بها على سائر ملوك السودان[1].

وكانت صلات غانة التجارية مع العالم الخارجي من الأهمية بمكان، ويرجع ذلك إلى توسط موقعها. فقد كانت تستغل رقعة الأرض التي تقع عند الطرق الجنوبي لطريق القوافل الغربية عبر الصحراء الكبرى، الذي امتد بين سجلماسه في بلاد المغرب. ماراً بتفازا التي اشتهرت بمناجم الملح، وكانت تستورد غانة القماش والمنسوجات الحريرية والنحاس والملح، وتصدر تراب الذهب وربما الجلود.

ولم يكن معظم ذهب غانة يعثر عليها فيها. لكن كانت ونقارة أهم الديار التي أمدتها به. وكان شعب الونقارة يقطن بقعة فسيحة امتدت ثلاثمائة ميل طولاً وخمسين عرضاً وفي جنوبها منطقة نهر السنغال وليس من اليسير أن تعرف بالدقة موقع معادن الذهب في ديار ونقارة وكان لغانة كما قلنا علاقات تجارية بينها وبين دول الشمال الأفريقي لاسيما تجارة الذهب. وقد ذكر ابن حوقل الجغرافي (حوالي عام(975م) أنه شاهد في أودغست، على حافة الصحراء أو كانت على مسيرة خمسة عشر يوماً إلى غرب مدينة غانة، صكاً قيمته 42,000 دينار كتب على ذمة التاجر السجلماسي إسحاق إبراهيم بن عبد الله[2].

---

(1)عبد الرحمن زكي، المرجع السابق، ص 74.

(2)عبد الرحمن زكي، المرجع نفسه، ص 77.

أصول سكان إمبراطورية غانة:

تعددت الروايات حول أصل سكان إمبراطورية غانة ومن ذلك ما وضح في بعض وثائق قبائل الهوسا، أن أصل غانة القدماء، كانوا يسمون أنفسهم التورود أو التوروت، وأنهم جاءوا أصلاً من وادي دجلة والفرات، أي أن لهم أصولاً أشورية وبابلية قديمة، ومعنى هذا انتماءهم إلى العنصر الذي يرجع أصل موطنه إلى منطقة جبال طوروس، ووصل ذروة مجده في التاريخ في وادي دجلة والفرات.

والنسبة إلى الأصول الشرقية أمر مألوف عند كثير من شعوب السودان الأوسط والغربي، وهي الشعوب التي اشتهرت في التاريخ وكونت لها إمبراطوريات واسعة: مثل مالي : وارثة غانة وصنغي وإرثه مالي، وكذلك عند أباطرة برنو وغيرهم.

والمحقق أن أهم القبائل التي تكون أغلب سكان إمبراطورية غانة في العصور الوسطى، هي قبائل السوننك، وهي من فروع "الماند" الأساسية، أي من مجموعة الشعوب أو القبائل المتكلمة بلغة الماند وتنفرد مجموعة السوننك عن بقية فروع الماند الأخرى، بصفات جسمانية خاصة، وتقاليد اجتماعية معينة.

كان السوننك يقيمون في الصحراء، ثم تركزوا بعد ذلك على حافتها الجنوبية، فيما اشتهر باسم "الساحل" وامتزجوا بالبربر والفولاني وهم زراع مرتبطون بالأرض وأعتمدوا في حياتهم علي الزراعة والتجارة [1]. ولعل اختلاط السوننك بغيرهم من العناصر ولاسيما البربر، هو الذي غير بعض الشيء في ألوانهم، حتى أن الجلف يطلقون على السوننك المقيمين في حوض السنغال اسم: سيركول أو سراكول[2]. تعني

---

(1) إسماعيل أحمد ياغي ومحمود شاكر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، ج2، دار المريخ، الرياض، ط1، 1983م، ص 212.

(2) إبراهيم طرخان، المرجع السابق، ص 18.

هذه التسمية عند الجلف الرجال الحمر أو الناس الحمر، مما يدل على أنهم لم يكونوا صريحين في الصفات الزنجية النقية.

تضم مجموعة السوننك فروعاً مختلفة، اشتهرت بأسماء متنوعة، تبعاً للأماكن التي قامت بها، أو تبعاً لاسماء العشائر التي برزت من بينها أو بحسب تسمية جيرانهم لهم.فقبائل البامبارا، وهي فرع من الماندنجو، تطلق على السوننك المقيمين في منطقة منحنى النيجر، اسم ماركا أو ماركنك، ويعرف السوننك المقيمون في ديا، غربي ماسنة على، النيجر باسم ديا كاني نسبة إلى محل إقامتهم، ويبدو أن منطقة ديا كانت مركز تجميع للسوننك، ومنه تفرقوا في شتى الجهات بالسودان الغربي، بل إن هذه التسمية "دياكانك" أطلقت على المستعمرات التي استقروا فيها في أعالي نهر غمبيا[1].

كذلك يعرف السوننك عند المغاربة باسم "اسوانك" واشتهرت هذه التسمية على فريق من السوننك يقيم جنوبي نهر النيجر، ونسب المقيمون منهم في مدينة طوبى، إليها وهذه التسمية عربية إسلامية، انتقلت إلى غرب أفريقية، وكذلك فهم يعرفون باسم الطوباكي، وفي مدينة جنى اشتهر السوننك باسم "تونو" نسبة إلى اسم أول عشيرة سوننكية هاجرت إلى جنى. أما المجموعات القليلة التي بقيت في الصحراء، فاشتهرت باسم "الأزير"[2].

هذا وقد استعمل الفولانيون والهوسا والصنغي تسمية أخرى، أطلقها على السوننك وهي: أنجرا وأونقارة أو وعكري.

---

(1)إبراهيم طرخان، المرجع السابق، ص 19.

(2)إبراهيم طرخان، المرجع نفسه، ص 20.

وكانت هذه المجموعات قد هاجرت فيما بعد إلى بلاد الهوسا، وتدعى أنها من أصل خارجي، واشتهرت المنطقة التي أقامت فيها بهذه التسمية "ونقارة" والمعروف أن هذا المصطلح يطلق كذلك على الماندنجو، كما عرفت به منطقة مناجم الذهب.

أما المجموعة الدياوارا التي استقرت في منطقة كنجي وهي أصلاً من منطقة ديا Dya فبالرغم من لغتها السوننكية، إلا أنها تختلف من الناحية التاريخية، عن بقية المجموعات السوننكية، كما أن مستعمرات هذه المجموعة المتفرقة في جيد يماجا، وكيز، وبافولاب وغيرها تتكلم بلغة القبائل التي أقامت بينها واختلطت بها.[1]

ومن أشهر أقسام السوننك الرئيسية، كما يقول بنجر هي:

1. السيون Sise
2. آل بكر Bakari
3. السليونSille
4. الديالي Dial
5. الساخو Sakho
6. الكابا Kaba
7. الدوكوري Doukoure
8. النياخات Niakhate[2]
9. الدياورا Diaoura وهؤلاء الأخيرون ينقسمون بدورهم إلى فرعين هما الساجوي Sagoue والدابو Dabo.

---

(1)إبراهيم طرخان، المرجع السابق، ص 20.

(2) إبراهيم طرخان، المرجع نفسه، ص21

والراجح أن هذه الأقسام: عبارة عن العشائر الكبرى أو الأسر الكبيرة التي اشتهرت بين السوننك بدليل أن الحكومة السوننكية الوطنية، كان ملوكها من آل سيس[1].

غانة الإسلامية:

انتشر الإسلام قليلاً في إمراطورية غانة قبل قدوم المرابطين. بل ذكرت بعض الروايات أن أحد ملوك غانا قد أعتنق الإسلام عام 233هـ. كما أعتنق أحد ملوك التكرور عام 432هـ,وأصبح للمسلمين في قاعدة غانا ضاحية خاصة تعادل العاصمة أو تشمل نصفها وفيها اثنا عشر مسجداً, ولهم حرية في الدولة[2].

فالصلة التجارية والثقافية قديمة منذ الأزمنة السحيقة، بين بلاد السودان وبلاد البحر المتوسط، وقد كثرت هجرة المسلمين بعد ظهور الإسلام، من العرب والبربر إلى بلاد السودان، منذ الفتح العربي الإسلامي لمصر، وشمال أفريقية [3]. ولقد احتكر التجار المسلمون الاتصال ببلاد السودان لأسباب دينية وتجارية، واستقرت أعداد كبيرة منهم في تلك البلاد.

وهناك جهود إمبراطورية أودغشت الإسلامية وتفاني ملوكها في نشر الإسلام بين الزنوج. وقد بلغت هذه الإمبراطورية ذروة قوتها وعظمتها خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، وقامت بدور كبير في الدعوة الى الإسلام قبل حركة المرابطين.

والمعروف أن أودغست مدينة سوننكية الأصل، ولو أن حكامها من البربر البيض من قبيلة لمتونة. جاهدت هذه الإمبراطورية في نشر الإسلام جنباً إلى جنب مع تنشيط حركة التجارة بين بلاد السودان وشمال أفريقية عبر الطرق الصحراوية،

---

(1) إبراهيم طرخان، إمبراطورية غانة ، ص 31.

(2) إسماعيل أحمد ياغي و محمود شاكر، المرجع السابق، ص 213.

(3) إبراهيم طرخان، المرجع السابق، ص 41.

والسلعة الهامة المطلوبة لبلاد السودان هي (الملح) يقول ابن حوقل "وحاجة ملوك السودان إلى ملوك أودغست ماسة من أجل الملح الخارج إليهم من ناحية الإسلام"، فإنه لا قوام لهم إلا به . ويقول أيضاً: "وملك أودغست يخالط ملك غانة"[1].

وليس من شك في أن هذه الصلات المتنوعة، وهذه الجهود البارزة قد أدت إلى انتشار الإسلام في غربي أفريقية، ولما كانت غانة جزءاً من غرب أفريقية أن الإسلام دخلها وانتشر بين بنيها، بدرجات متفاوتة، لكن لا نستطيع أن نقول إن البلاد كلها، قد اعتنقت الإسلام، أو أن الإسلام صار الدين الرسمي لإمبراطورية غانة[2].

والراجح أن أعداداً كبيرة من سكان غانة قد اعتنقوا الإسلام، وأن مظاهر هذا الدين من الشعائر والمساجد والثقافة واللغة العربية، قد وجدت طريقها إلى بلاد غانة في زمن مبكر، قبل دور المرابطين[3].

وهناك أكثر من دليل على قدم الإسلام في غانة، فقد ذكر البكري (ت 476ه/1094م) أن بني أمية أرسلوا جيشاً إسلامياً لفتح بلاد السودان في صدر الإسلام، واستقرت ذرية هذا الجيش في بلاد غانة، وكما يتضح من مضمون عبارة البكري أن سلالة من هذا الجيش أهملت التمسك بالإسلام إلا أن وصول هذه الموجة الإسلامية إلى غانة كان اتصالاً مباشراً[4].

---

(1) إبراهيم طرخان، المرجع نفسه، ص 42.

(2) ابن حوقل(أبوالقاسم محمد)، صورة الأرض، ج1، دار صادر أفست لدن، بيروت، ط1، 1938م، ص 101.

(3) إبراهيم طرخان، المرجع السابق، ص 43.

(4) إبراهيم طرخان، المرجع نفسه، ص 44.

يقول البكري: "وببلاد غانة قوم يسمون بالهنيهت، من ذرية الجيش الذي كان بنو أمية أنفذوه إلى غانة في صدر الإسلام، وهم على دين أهل غانة، إذ أنهم لا ينكحون في السودان ولا ينكحونهم فهم بيض الألوان حسان الوجوه"[1].

ويقول القلقشندي عن إسلام أهل غانة: "وكان أهلها أسلموا في أول الفتح" [2]. ثم إن نمو الحي الإسلامي بعاصمة غانة أو المدينة الإسلامية ليس من المعقول أن تكون قد ظهرت مرة واحدة أو خلال وقت قصير، بحيث أصبحت تضم اثني عشر مسجداً، وأنها صارت موطناً لعدد كبير من فقهاء المسلمين وعلمائهم.

ومدينة غانة مدينتان سهليتان إحداهما المدينة الإسلامية التي يسكنها المسلمون، وهي مدينة كبيرة فيها اثني عشر مسجداً، أحدها يجمعون فيه أي يؤدون فيه صلاة الجمعة. ولها أئمة ومؤذنون. وفيها فقهاء وحملة علم، وحواليها آبار عذبة، منها يشربون وعليها يعتملون الخضروات".

ومن الظواهر البارزة في تاريخ إمبراطورية غانة؛ حتى في عهد الحكومة الوثنية، أن المسلمين لكثرتهم وأهميتهم، سواء أكانوا من السوننك الوطنيين أو من المستوطنين من العرب والبربر، تمتعوا باحترام من قبل الملوك الوثنيين، ومجرد نمو القسم الإسلامي في العاصمة ووجود المساجد به دليل على هذا الاحترام وهذا التسامح، وأكثر من هذا، أقام الملك الوثني مسجداً في الحي الوثني من العاصمة وهو (الغابة) لكي يؤدي فيه المسلمون الوافدون عليه شعائرهم الدينية[3].

---

(1) البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد،ص 179.

(2) القلقشندي، مصدر سابق، ص 284.

(3) إبراهيم طرخان، المرجع السابق، ص 45.

وفي مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يفد عليه من المسلمين على مقربة من مجلس الملك. ويصف البكري الملك الغاني بأنه كان "محمود السيرة محباً للعدل مؤثراً للمسلمين"[1].

هذا وإسلام رعايا غانة قبل حكومتها لم يحل دون تولي المسلمين أسمى المناصب في الحكومة. وحسبما ما ذكره البكري عن كبار رجال حكومة الملك الوثنية، وتراجمة الملك من المسلمين وكذلك صاحب بيت ماله وأكثر وزرائه"[2].

لكن هذا لا يعني أن جميع ملوك غانة كانوا على الوثنية، بل هناك رواية أوردها دولا رونسير، مؤداها أن الملك تلوتان أو بولاتان وهو ابن تكلان اعتنق الإسلام حوالي عام 837م، وأنه شن حرباً دينية ضد جيرانه الوثنيين.

وإذا صحت هذه الرواية، فإنها لا تدل على أن ملوك غانة صاروا مسلمين على التعاقب منذ القرن التاسع الميلادي فصاعداً، بل المحتمل أن قلة منهم أسلمت وأن غالبيتهم ظلت على الوثنية إلى أن جاءت حركة المرابطين[3].

جاء المرابطون في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي، وقد بدأوا حركة في المشارف الشمالية لبلاد السودان وكان أبو بكر بن عمر قد وصل إلى الصحراء في ذي القعدة سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة، ولما وصل إليها أصلح شأنها ورتب أحوالها وجمع جيشاً كثيفاً وغزا به بلاد السودان، فاستولى منها على نحو تسعين مرحلة[4]. ومنذ ذلك الوقت أي أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، يمكن أن يؤرخ لإمبراطورية غانة الإسلامية حتى اختفائها من التاريخ في مطلع القرن الثالث

---

(1) البكري، المصدر السابق، ص 75.

(2) البكري، المصدر نفسه، ص 75.

(3) إبراهيم طرخان، المرجع السابق، ص 46.

(4) السلاوي، المصدر السابق، ص 21.

عشر الميلادي، فقد أضحت حكومتها إسلامية ويقال إن الملك تنكامنين السوننكي كان يحكم غانة عند فتح المرابطين لها، وأنه قبل الدخول في الإسلام والخضوع لسلطان المرابطين دفع جزية، وأنه بإسلام هذا الملك دخل عدد كبير من سكان العاصمة وغيرها من المدن في الإسلام.[1]

والمحقق أن الكثير من سكان إمبراطورية غانة، قد اعتنق الإسلام قبل القرن الحادي عشر الميلادي، وأنه منذ فتح المرابطين غانة، ازداد عدد الداخلين في الإسلام كما أسلم ملوكها، وأصبحت الحكومة إسلامية منذ ذلك الوقت، وظلت كذلك حتى اختفائها من التاريخ في مطلع القرن الثالث عشر الميلادي.

ومع أن حركة المرابطين أدت إلى إضعاف غانة سياسياً وأن سيادة المرابطين في غانة أو تبعية غانة للمرابطين، لم تستمر طويلاً فسرعان ما تخلصت من هذه السيادة على إثر وفاة أبي بكر أمير المرابطين 1087م، وتفرق كلمتهم من بعده.

إلا أن هذه الحركة كانت بعيدة الأثر في ازدياد انتشار الإسلام وتقوية العقيدة في السودان الغربي خاصة[2].

واشتهر أهل غانة، وأغلبهم من السوننك بحماستهم للإسلام وبالدور الكبير الذي نهضوا به في الدعوة إلى الإسلام، إذ كانت هذه العقيدة ذات أثر عميق في حياتهم الاجتماعية، حتى إن بعض العشائر السوننكية تكاد تختص بالعمل في الدعوة إلى الإسلام فقط، بل إن كلمة "سوننك" في أعالي نهر غمبيا استخدمها الماندنكا الوثنيون مرادفاً لكلمة "داعي" مما يدل على الدور الكبير الذي لعبه السوننك في نشر الإسلام.

---

(1) السلاوي، المصدر السابق، ص 22.

(2) إبراهيم طرخان. المرجع السابق. ص 47.

وصف الغرناطي إسلام أهل غانة ومدى محافظتهم على أداء فروض الدين، بقوله: "وأهل غانة أحسن السودان سيرة وأجمعهم صوراً سبط الشعور، لهم عقول وفهم، ويحجون إلى مكة".

ازداد عدد الداخلين في الإسلام، واشتهر كثير من المدن الغانية، غير العاصمة بكثرة من فيها من المسلمين، من هذه المدن غيارو، القريبة من نهر النيجر الأعلى، يقول البكري عنها: وفيها كثير من المسلمين كذلك مدينة يرسني الواقعة غرب غياروا يسكنها المسلمون، وما حولها مشركون[1].

أما حكومة غانة الإسلامية فقد عملت على الاتصال المباشر بالخلافة العباسية في بغداد وأجبرت رعاياها على لبس العمامة، كما أن ملوك غانة الإسلامية ادعوا أنهم ينتسبون إلى البيت العلوي[2].

يقول الإدريسي: "وأهلها – أي أهل غانة– مسلمون وملكها فيما يوصف من ذرية صالح بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب وهو يخطب لنفسه لكنه تحت طاعة أمير المؤمنين العباسي" [3]. وأشار ابن الوردي إلى إسلام ملك غانة الذي عناه الإدريسي في مقالته.

ويقول المقريزي: "ومدينة غانة محل سلطان غانة، ويدعى أنه من نسل الحسن بن علي رضي الله عنه"[4].

والنسبة إلى البيت العلوي، أمر مألوف ومشهور عند كثير من ملوك السودان، فقد ادعاه ملك مالي وارث غانة كما ادعى ملوك برنو أنهم من سلالة سيف بن ذي يزن، وكل هذه أساطير إلا أنها تلقي ضوءاً من ناحية أخرى، على أهمية علاقة الشرق الإسلامي بالإمبراطوريات الإسلامية التي قامت في غرب أفريقيا[5].

---

(1) السلاوي، المصدر السابق، ص 21–22.

(2) إبراهيم طرخان، المرجع السابق، ص 48.

(3) الإدريسي، المصدر السابق، ص 23.

(4) المقريزي (احمد بن على بن عبد القادر ت 845هـ) ، رسائل المقريزي ، دار الحديث ، القاهرة ، ط 1، 1419هـ ، ص 40 .

(5) إبراهيم طرخان، المرجع السابق، ص 49.

المبحث الثاني

دور المرابطين في إسقاط غانة

كان لإسلام قبائل الملثمين في القرن الثالث الهجري- التاسع الميلادي أثر في تطور الأحداث الهامة في المغرب الأفريقي والسودان لاسيما بعد أن قام حلف يجمع شمل الملثمين بزعامة اللمتوني تبلوتان بن تيكلان الذي اعتنق الإسلام، وكان من أهداف الحلف التوسع نحو الجنوب لنشر الإسلام بين القبائل الزنجية بالسودان الغربي، ولذلك كان لابد أن يصطدموا بغانة التي كانت وصلت إذ ذاك أوج مجدها وتوسعها حتى لقد وصفها ابن خلدون بقوله: " كانوا أعظم أمة وأضخم ملك، امتدت منطقة نفوذهم من منعطف نهر نيجر جنوباً حتى مدينة أركي في الشمال، وتقع على مسيرة سبعة أيام من مضارب قبيلة لمتونة قرب وادي نون، ولكن كان من حسن طالع حلف الملثمين الصنهاجي أن دبت عوامل الضعف في هذه الدولة الزنجية الكبيرة في هذا الوقت بالذات [1].وساقوا عدداً كبيراً منهم سوقاً إلي الإسلام يعتنقونه"[2].

ولم تكن العلاقة بين مملكة غانة وبين جيرانها من البربر على شيء من الصفاء. فكثيراً ما كانت تقوم المنازعات بين زعماء السوننكي وبين قبائل لمتونة وجدالة (بضم الجيم) وكانت ديارهم تصاقبها من الشمال، ويحاول كل منهم أن يعتدي على أرض الآخر، ففي سنة 999م استولت قبيلة لمتونة على مدينة أودغست، وهي مدينة من مدن غانة، أخذت مكانتها التجارية عن طريق منافسة مدن غانة منافسة

(1) بازل دافدسن، إفريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة: جمال م أحمد، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص 143.

(2) عبد الرحمن زكي، المرجع السابق، ص 79.

خطيرة، إلا أن ملوك هذه البلا فتحوا هذه المدينة واستولوا عليها. وهذا كان من الأسباب التي وحدت بين لمتونة وجدالة لمقاومة خطر ملوك السوننكي.

وقد اعتنق زعماء لمتونة وجدالة الإسلام على مذهب الإمام مالك. واستطاع عبد الله بن ياسين أن ينشئ رباطاً في جزيرة عند مصب السنغال وأن ينشر حركة الجهاد في سبيل الله– وكان للجهاد في زعمه غرضان: أولهما فتح بلاد السودان وتحويل أهلها إلى الإسلام، وثانيهما فرض مذهب الإمام مالك على شعوب أفريقية الشمالية[1].

وكانت دروس عبد الله بن ياسين للمرابطين معه تشتمل إصلاح أخلاق الفرد، كما كانت تهاجم نظم الحكم القائمة، وإرهاق الرعية بالضرائب الفادحة، وقضى على ذلك عشر سنوات تكاثر فيها مريدوه حتى صاروا ألفاً فهتف فيهم: إنكم لن تغلبوا عن قلة، وقد تعين علينا القيام بالحق والدعاء إليه، وحمل الكافة عليه، فاخرجوا بنا لذلك، فخرجوا وقتلوا من استعصى عليهم من قبائل لمتونة وجدالة حتى أنابوا إلى الحق واستقاموا على الطريقة.

وبواسطة الجيش الكبير الذي كونه ابن ياسين من لمتونة وجدالة تحرك ومعه يحيى بن عمر وكانت له زعامة في لمتونة تجاه الشمال وسيطروا على سجلماسة المركز العظيم لتجارة الصحراء، ثم اتجه نحو الجنوب فغزا أودغست سنة 446هـ/1054م لأنها المركز التجاري العظيم في قلب الصحراء، وهكذا كان هؤلاء الزاحفون يدركون أن السيطرة على طرق التجارة والاقتصاد أيسر وسيلة لنجاح محاولاتهم الدينية والسياسية[2].

---

(1) حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص 99.

(2) أحمد شلبي، المرجع السابق، ص 107–108.

وقد تم اختيار هذه الجزيرة لقربها من ممالك الزنوج الوثنية ومن بينها مملكة غانة التي كانت مضارب الملثمين لطبيعتها المميزة حيث تتوفر فيها المياه العذبة والنباتات وخلال الصيف تصبح صلة هذه الجزيرة ميسورة وفي الشتاء تنقسم إلى جزيرات صغرى، وقد اتخذ عبد الله بن ياسين في هذا المجتمع دور الإمام الذي يعلم ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، أما دور الأمير الذي ينفذ أوامر الإمام كانت منوطة بيحيى بن إبراهيم الذي توفي عام 440هـ/ 1048م فخلفه يحيى بن عمر من قبيلة لمتونة.

وبعد مضي عشر سنوات من التقشف والتعليم أمر عبد الله بن ياسين جماعته التي كانت تتألف من 3000 ألف مقاتل بالخروج للجهاد في سبيل الله ورد قبائل الملثمين إلى حظيرة الطاعة وتطهير المجتمع من أدران الفساد قائلاً لهم: اخرجوا على بركة الله تعالى وانذروا قومكم، وخوفوهم عقاب الله وأبلغوهم حجته، فإن تابو ورجعوا إلى الحق وأطاعوا فخلوا سبيلهم، وإن أبوا وتمادوا في غيهم ولجوا في طغيانهم استعنا بالله عليهم. وجاهدناهم حتى يحكم الله بيننا، ومنذ ذلك الوقت دخلت هذه الجماعة التاريخ الإسلامي تحت اسم المرابطين(1).

لم يتجه عبد الله بن ياسين إلى الشمال نحو مضارب جدالة لإدخالها في الدعوة بل سار إلى الشرق نحو منحنى نهر النيجر صوب مدينة أودغست لاستردادها من غانة الوثنية وحمل الأخيرة على اعتناق الإسلام(2). محققاً بذلك الأهداف التالية:

أولاً: نشر الإسلام في بلاد الوثنيين.

---

(1) محمد فاضل وآخرون، المرجع السابق، ص 69.

(2) حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 149.

ثانياً: الاستيلاء على مدينة أودغست التي تتحكم بأهم الطرق التجارية التي تجتاز الصحراء.[1]

ثالثاً: الثأر لما لحق بالملثمين المسلمين من هزيمة على أيدي الغانيين الوثنيين.

رابعاً: التفرغ بعد ذلك لمهاجمة ديار قبيلة جدالة في الشمال بعد إزالة خطر غانة.

هاجم المرابطون مملكة غانة عام 1056م واستبسلوا فيها استبسالاً عظيماً وأعلنوا الجهاد ضد الوثنية فأسلمت بعض القبائل الزنجية، وتحالفت مع المرابطين. استشهد في الهجوم على غانة يحيى بن عمر فخلفه أخوه أبو بكر بن عمر فحول انتباهه نحو الشمال بمساعدة ابن عمه يوسف بن تاشفين[2].

ويرى إبراهيم طرخان، أن هجوم المرابطين على أودغست كان عقاباً لها على خضوعها لغانة الوثنية، ومع أن أودغست لم تخضع كارهة، ويبدو أن هذا الرأي بني على موقف أودغست من الدفاع عن نفسها عندما هاجمها المرابطون، ولكن هذا الموقف ينبغي تفسيره، بأن أودغست لم تكن ترغب في الانتقال من تبعية إلى تبعية، وربما كان الهجوم عليها لأنه ظهر بين بعض سكانها انحراف عن أخلاق الإسلام حتى سماها المؤرخون بابل الصحراء الكبرى.

وبعد وفاة يحيى بن عمر وخلافة أبي بكر بن عمر وابن عمه يوسف بن تاشفين، وبدأ بهما ملك المرابطين، واتجه زحف المرابطين نحو الشمال، ثم توفي ابن ياسين سنة 1059م، وبعد وفاة عبد الله بن ياسين قامت حركات ثورية بالجنوب ضد المرابطين، فعاد أبو بكر إلى الصحراء ليقضي على هذه الثورات، وترك القيادة في الشمال لابن عمه يوسف بن تاشفين، ونجح كل منهما في المنطقة التي اتجه إليها، فلما

---

(1) حسن أحمد محمود، المرجع نفسه، ص 149.

(2) محمد الفاضل، المرجع السابق، ص 70.

أنهى أبو بكر من مهمته بالجنوب عاد إلى الشمال فوجد يوسف قد استبد بالأمر، وقدم يوسف لأبي بكر مجموعة من متاع الصحراء وماعونها، ففطن أبو بكر للأمر وتجافى عن المنازعة، وسلم له الأمر، ورجع إلى إمبراطورية غانة التي كانت الوثنية لا تزال بارزة فيها، وأخذ يهاجمها بقوة وثبات[1].

ويلاحظ أن أبا بكر لم يهاجم غانة بجنود من لمتونة، لأن أبرز الأبطال من هذه القبيلة كانوا قد ساروا مع يوسف نحو الشمال، ولهذا اضطر أبو بكر بعد أن سلم الأمر لابن عمه أن يستقدم قبيلة فولاني من بلاد التكرور، وساعده علي ذلك منافسة تجارية كانت بين الفولاني والسوننك، وكان الإسلام قد انتشر بين الفولاني فربطهم بقبيلة لمتونة، وجمع شملهم ضد السوننك الوثنيين، وفي سنة 1076م هزم أبو بكر غانة، ودمر كومي عاصمتها، وأصبحت مملكة غانة جزءاً من إمبراطورية المرابطين[2].

توفي أبو بكر عام 480هـ/ 1087م واختلف أتباعه في هذه البقاع من بعده مما أدى إلى ضعف دولة المرابطين. استغل الغانيون هذه الفرصة وشنوا هجوماص على المرابطين واستعادوا عاصمتهم وحريتهم وأعلنوا تبعيتهم للخليفة العباسي في بغداد مباشرة فغانة الجديدة لم تكن كغانة السابقة من ناحية الدين، فالإسلام قد انتشر فيها وأصبح ملوكها مسلمين وأجبروا شعوبهم على لبس العمامة وادعوا الانتساب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، وأصبح سكان غانة من السوننك مسلمين بل وشديدي الحماسة لنشر الإسلام، وتفرغ بعضهم للدعوة وأضحت كلمة سوننك مرادفة لكلمة

---

(1) أحمد شلبي، المرجع السابق، ص 109.

(2) الماندنجو: قبائل زنجية بدأت في اعتناق الإسلام منذ القرن الحادي عشر الميلادي وتسكن المناطق التي هي الآن ضمن دولة مالي، وكانت هذه القبائل تحت حكم غانة لغاية القرن الثالث عشر الميلادي، حيث استطاعت هذه القبائل من تأسيس مملكة خاصة بها في مالي(إبراهيم طرخان، المرجع السابق،ص 25).

داعية عند كثير من قبائل الماندنجو [1] كما كثرت المساجد وعم تعليم القرآن الكريم وقواعد الدين واللغة العربية والحق كل مسجد بمدرسة وغدت اللغة العربية اللغة الوحيدة للعبادة والثقافة والتجارة.

نهاية إمبراطورية غانة:

اختفت إمبراطورية غانة عن مسرح التاريخ السياسي في غربي أفريقية، في مطلع القرن الثالث عشر الميلادي،غير أن عوامل الانهيار وقد بدأت قبل ذلك بأمد طويل، وأولها عامل طبيعي، بدأ قبل القرن الحادي عشر، وهو الجفاف التدريجي الذي حل بالمناطق الواقعة شمال حوض السنغال، مما حمل الناس على الهجرة والتطرف.

وجاء العامل الآخر وكان حاسماً، وهو الغزو والحرب لبلاد غانة، ويعقبه عادة من انفلات زمام السلطة واختلال الأمن في الداخل وخروج الإمارات أو الممالك الخاضعة لغانة، وتطلعها إلى السلطة والسيادة[2].

إن استيلاء المرابطين على غانة أدت إلي ضعف وانحلال في الدولة لم يلتئم بعودة السوننك إلى السلطة، إذ أن كثيراً من القبائل ومن الأجزاء التي كانت تابعة للإمبراطورية لم تعد لهذه التبعية مرة أخرى [3]. وعلى هذا فقد كان فتح المرابطين لغانة أساساً رئيسياً من أسس تدهور الإمبراطورية[4].

وإن كان غزو المرابطين لم يؤد إلى اختفاء إمبراطورية غانة إنما أدى إلى تحول حكومة غانة إلى الإسلام، كما أن سيادة المرابطين على غانة أو نفوذهم فيها لم

---

(1) محمد فاضل وآخرون، المرجع السابق، ص 71.

(2) إبراهيم طرخان، المرجع السابق، ص51.

(3) دنيس بولم، المرجع السابق، ص 5.

(4) أحمد شلبي، المرجع السابق، ص110

يستمر طويلاً، فقد استعاد السوننك استقلالهم عقب وفاة أبي بكر زعيم المرابطين عام 1087م.

والذي اقترن بفتح المرابطين لغانة، هو اضطراب الأمن وتزعزع الولاء نحو السوننك من قبل الممالك الخاضعة لهم. ثم كان غزو الصوصو في مطلع القرن الثالث عشر هو الذي أنهى إمبراطورية غانة، وأخيراً جاء الفصل الثالث قبيل منتصف القرن الثالث عشر وذلك على يد إمبراطورية مالي النامية في كانجايا، وكان متمماً لحركة الصوصو.

تعرضت غانة لزحف المرابطين، إذ كانت وثنية وكان ملوكها المعاصرون قد جعلوها هدفاً من أهدافهم للقضاء عليها، وتعميم العقيدة الإسلامية في جميع أنحاء بلاد السودان، بالإضافة إلى مطامع المرابطين في ذهب السودان وثرواته الأخرى(1).

لم يكن لسقوط غانة، الآثار البعيدة المدى المنتظرة التي كان يتوقعها الزعماء الأفريقيون في ذلك الحين، ذلك لأن انهيار المرابطين كان سريعاً في الجنوب بل أسرع من نهايتهم في الشمال، فقد عادت من جديد الخلافات القبلية، تلك الخلافات التي كانت سبباً في ضعفهم وفشلهم، وذلك لأن بعض قبائلهم منها مسوفة ولمتة رفضتا العمل معاً تحت زعامة لمتونة، تلك القبيلة التي كانت بمثابة العمود الفقري للمرابطين، في حين ظلت جدالة واقفة بعيدة عنها[2].

بعد وفاة الأمير أبي بكر بن عمر اللمتوني، أجتمعت طوائف المرابطين علي يوسف تاشفين، وولوه، أمرهم وأصبح سيد شمال أفريقيا كلها [3]. بل كان صاحب الكلمة في الأندلس، فيما انتصر على الملك الفونسو السادس في معركة الزلاقة، في

---

(1) إبراهيم طرخان، المرجع السابق، ص51.

(2) عبد الرحمن زكي، المرجع السابق، ص 86.

(3) النويري(أحمد بن عبد الوهاب)، نهاية الارب في فنون الأدب، ج24، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1، 1423، ص 262.

23 أكتوبر 1086م وخلال عشرة أعوام بعد هزيمة غانة، كان المرابطون قد أسسوا إمبراطورية امتدت من السنغال غرب أفريقية إلى نهر الأيرو في الأندلس،وقد دانت تلك الإمبراطورية حوالي مائة عام إلى أن قامت دولة الموحدين.

وفي أثناء تفكك المرابطين وانشغالهم بدولتهم في الأندلس استطاع السوننكة شعب إقليم صوصو التابعة لغانة أن يستعيدوا استقلالهم، ولكنهم لما كانوا كالمرابطين تعوزهم الوحدة وتسودهم الروح القبلية، فإنهم لم يستفيدوا بمزايا الظروف والأحداث المعاصرة، فعاد الشقاق إلى صفوفهم، ورغب كل إقليم أن يستقل ببلده، ولم يعملوا في سبيل وحدتهم للصمود في وجه عدوهم المشترك في الشمال[1].

قام الفلانيون المهاجرون من بلاد تكرور بدور بارز في تكوين الطبقة الحاكمة التي ساعدت على استقلال كانياجا وقيام إمبراطورية جديدة عرفت باسم إمبراطورية صوصو غربي إقليم مالي[2].

كان يقع إقليم صوصو (سوسو بتفخيم الواوين) ويسمى الإنكارية في الغرب من مالي قبل أن تصبح الأخيرة دولة كبرى، وكانت تحمل قبلها هذا الاسم سكانها وحكمها السوننكة، وكانت مملكة صوصو في الأصل ولاية من ولايات غانة، استقلت في أواخر القرن الحادي عشر عندما انهارت غانة تحت أقدام المرابطين (1076م) وكانت الأسرة التي تحكم صوصو في ذلك الوقت فرعاً من أسرة سركلة يسمى حرسو، وقد خلصها من العرش حوالي عام 1180م جندي، كان هو أيضاً من السركلة إلا أنه كان وثنياً ينتمي إلى طائفة من الحدادين يدعى "أجرة كنته" وخلفه سومانكورو فزاد كثيراً في سلطات مملكة صوصو بأن أضاف إليها عدة ولايات شمال حدودها القديمة وجنوبها وبخاصة وغدو وبغنة التي كانت تشمل كومي حاضرة غانة، ومانرنك أو مالي التي تقع على ضفتي نهر نيجر الأعلى فوق باماكو[3].

---

(1) عبد الرحمن زكي، المرجع السابق، ص89-87.

(2) حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص100.

(3) عبد الرحمن زكي، المرجع السابق، ص87.

وفي مطلع القرن الثالث عشر، استولى أعظم أباطرة الصوصو، وملك سومانجورو على العاصمة كومي صالح عام 1203م، وبذلك أنهى الصوصو سيادة الملوك الغانيين المسلمين، فتفرقوا في البلاد، كما أن عدداً كبيراً من المسلمين من سكان العاصمة الغانية، هاجروا بزعامة رجل اسمه الشيخ إسماعيل، واتجهوا إلى مدينة ولاته، حيث أقاموا مركزاً تجارياً لهم وسرعان ما ازدهرت هذه المدينة حتى صارت من أعظم المراكز التجارية في السودان الغربي.وسع سومانجورو إمبراطورية الصوصو وتوجه نحو الجنوب حيث توجد دولة الماندنجو النامية في كانجابا، وهي التي اشتهرت باسم إمبراطورية مالي، ويقال إن سومانجورو قتل أولاد الملك– الماندنجي "تاري فامغات" حكم من حوالي 1218م إلى حوالي 1230م من أسرة كيتا، الأحد عشر، ونجا أصغرهم وهو الثاني عشر المشهور في التاريخ باسم "ماري جاطة" أي ولد الأسد.

على أن نهاية إمبراطورية الصوصو وسومانجورو نفسه، جاءت على يد ماري جاطة الذي ضم جميع أملاك الصوصو بما فيها أراضي إمبراطورية غانة إلى إمبراطورية الماندنجو، وذلك بعد واقعة حربية فاصلة عام 1235م.وفي عام 1240م نجح ماري جاطة في تدمير ما بقي من كومي صالح عاصمة غانة وهي التي أفل نجمها منذ هجرها المسلمون على إثر غزو الصوصو، وكان تدمير العاصمة في عام 1240م الفصل الثالث أو الحلقة الأخيرة في اختفاء إمبراطورية غانة[1].

ومن ثم استبدل بسلطان دولة صوصو سلطان مالي وبدأ في تدوين صفحة جديدة لإمبراطورية مزدهرة في غرب أفريقية عرفت باسم إمبراطورية مالي الإسلامية[2].

---

(1) إبراهيم طرخان، المرجع السابق، ص54–55.

(2) عبد الرحمن زكي، المرجع السابق، ص88.

المبحث الثالث

دور المرابطين في نشر الإسلام في السودان الغربي :

بلاد السودان الغربي، هو مصطلح عربي يدل على المنطقة التي تمتد في القارة من بحيرة تشاد في الشرق حتى ساحل المحيط الأطلنطيفي الغرب، وتقع عند خط عرض 17.9 درجة شمال خط الاستواء على وجه التقريب، وهي مساحة تبلغ 2.4 مليون ميل مربع، والتي عرفها الكتاب العرب ورحالتهم على أنها البلاد التي يحدها بحر الظلمات (المحيط الأطلنطي) من الغرب، وحدود الحبشة الغربية من الشرق(1).وكلمة سودان هي الكلمة التي كانت تطلق على كل إفريقيا وهي كلمة تدل على شدة سواد أهالي تلك البلاد، أما كلمة أفريقيا فلم تكن تطلق سوى على تونس فقط2.

ويطلق اسم السودان على جميع الأقاليم شبه الصحراوية من أفريقية التي انتشر فيها الإسلام، وتمتد جنوبي الصحراء الكبرى ومصر أي من المحيط الأطلنطي في الغرب إلى الحدود الغربية للحبشة في الشرق، وتساير حدودها الجنوبية بصفة خاصة خط 10 شمالاً وتنقسم هذه الأقاليم إلى ثلاثة أقسام:

1. السودان الغربي، ويشمل حوض نهر السنغال ونهر غمبيا والمجرى الأعلى لنهر فولتا والحوض الأوسط لنهر النيجر.
2. السودان الأوسط، ويشمل حوض تشاد.
3. السودان الشرقي، ويشمل الحوض الأعلى والأوسط لنهر النيل(3).

---

(1) عبد الله عبد الرازق إبراهيم وآخرون، المرجع السابق، ص 8.

(2) محمود كعت التنبكتي، المختار من تاريخ الفتاش، دار العلوم للنشر والتوزيع، ط1، 2005، ص9 .

(3) الشيخ الأمين محمد عوض الله، العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغي، دار المجمع العلمي، جدة، 1399هـ/1979م، ص 41.

أما عن كيفية وصول الإسلام إلى بلاد السودان، فيعود به بعض المؤرخين إلى الفترة التي تزامنت مع الفتح العربي لمنطقة شمال أفريقيا، ولكن الروايات الصحيصحة تعود بنشر الإسلام للجهود التي قامت به قبائل الطوارق الملثمين[1].

لقد تعرض الجزء الغربي من القارة الأفريقية لغارات متصلة من قبائل البربر منذ القرن الأول الميلادي.

وكانت بعض هذه الغارات تعود إلى الشمال الأفريقي بعد تحقيق أغراضها، ولكن منذ أن بسط العرب سلطانهم على بلاد المغرب، وكانت بعض هذه الغارات جنوباً تسعى للإقامة الدائمة هناك. شاركت في هذه الغارات القبائل العربية التي كانت ترغم القبائل البدوية على الهجرة جنوباً ووصلت غارات العرب إلى حدود السنغال. وكانت أهم القبائل التي لعبت دوراً هاماً في غرب أفريقيا قبائل الطوارق أو الملثمين التي انتشرت في منطقة فسيحة من غدامس [*] حتى المحيط الأطلسي، ووصلت إلى مقربة من منحنى النيجر، وكانت قبيلة لمطة وجزولة وجدالة أكثر القبائل انتشاراً في مناطق الصحراء، وغرب أفريقيا، وكانت هذه القبائل تمسك بمفاتيح الطريق إلى السودان الغربي، بل وكانت حلقة اتصال بين المغرب بشعوبه وحضارته وثقافته وبين الجزء الزنجي الواقع إلى الجنوب ويمتد شرقاً حتى بحيرة تشاد[2].

وقد تسرب الإسلام من المغرب الأقصى في عهد الأدارسة والمرابطين ومن بلاد المغرب بصفة عامة، وكلهم مالكيون سنيون، وعلى يد القادرية والتجانية منهم. وهم نادراً ما يتطلعون إلى خارج حدود بلادهم التماساً للزعامة الروحية، لأن كلاً من

---

(1) حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986، ص 199 .

(*) غدامس : هي مدينة بالمغرب ثم في جنوبيه ضاربة حتى بلاد السودان بعد بلاد زافوان (ياقوت الحموي هو شهاب الدين بن عبد الله)، معجم البلدان الجزء الرابع، بيروت، ط1، 1996، ص 187 .

(2) عبد الله عبد الرازق، المرجع السابق، ص8.

سلطان سكتو (بضم السين والكاف) والشيهو في برنو (بضم الباء وسكون الراء) يعتبران أئمة المجتمع الإسلامي. وهم في الأقاليم الأخرى من غربي أفريقية يتطلعون إلى مراكزها في الشرق الأدنى، ويندر التحدث بالعربية فيهم، وإن كان بعض المفردات العربية قد تسربت إلى لغات غرب أفريقية.

وفي الشرق أيضاً نجد أن الحاكم المسلم الوحيد الذي يطبق الشريعة الإسلامية هو سلطان زنزبار، وإن كان خلفاؤه قد أصدروا سلسلة من المراسيم التي تحول دون تطبيق الشريعة تطبيقاً متطرفاً، على حين نجد في الغرب الإمارات الإسلامية في شمال أفريقية متطرفة في مقاومتها للحضارة العربية. وبرغم هذا نجد تشابهاً ملحوظاً بين تطبيق المذهبين الشافعي والمالكي في محاكم كينيا وساحل الذهب (غانا). ويتمثل هذا التشابه في معالجة المشاكل الناجمة عن انتحال الوثنيين الإسلام[1].

بعد أن أتم العرب فتح مصر وصلوا إلى برقة وطرابلس، ثم تدفقوا إلى أفريقية بقصد الاستيلاء عليها. ولم تتوطد أقدامهم فيها إلا بعد بناء عقبة بن نافع مدينة القيروان، لتكون عاصمة للولاية الإسلامية الجديدة وحصنها للدفاع عنها، وقاعدة لرد الروم والبربر[2].

لكن عقبة لم يستطع إتمام فتح أفريقية كما تقدم، لأن قبائل البرانس كانت تتحصن في الجبال وتتخذ معاقل تحميهم من غارات العرب، وعلى الرغم من أن أبا المهاجر دينار عامل هذه البلاد من قبل الأمويين أوغل بجيوشه أهل الشام ومصر حتى بلغ قرطاجنة وهادن البربر، ولم يستطع مقاومة الروم. غير أن سياسته قد تكللت بالنجاح، فانتشر الإسلام بين قبائل صنهاجة (بفتح الصاد)[3].

---

(1) حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام في القارة الأفريقية ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثانية ، 1963م، ص 86.

(2) محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 20 .

(3) حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص 87.

لم يكن المرابطون أول من أدخل الإسلام إلى بلاد السودان الأوسط والغربي في القرن الحادي عشر الميلادي، كما هو متواتر، بل إن الإسلام وصل إلى تلك البقاع في القرن نفسه الذي ظهر فيه، وهو القرن السابع الميلادي [1]. فقد أشار أحمد بابا مؤرخ صنغي إلى وجود اثني عشر مسجداً في مدينة غانة (كومي صالح) حوالي عام 60هـ/ 679م، كما أن إمبراطورية أودغست الإسلامية، وهي التي كونها السوننك إحدى فروع الماندنجو، قامت بدور كبير في نشر الإسلام منذ القرن التاسع الميلادي، ومع أن حكام أودغست من البربر البيض من قبيلة صنهاجة، إلا أن سكانها ومؤسسيها من السوننك السودان، وتقع هذه المدينة شمال غربي كومي صالح عاصمة غانة، ويقول أبو الفداء (وهي من براري سودان المغرب)[2].

ولقد أسهم في نشر الإسلام في بلاد السودان التجار المسلمون والدعاة الذين جاءوا من بلاد المغرب، ونشطت العلاقات المتنوعة طوال عصور التاريخ المختلفة بحيث لم يحدث أن انعزل قلب أفريقية تجارياً أو ثقافياً عن بقية أجزاء القارة، وعن آسيا وأوروبا في أي فترة من فترات التاريخ، وزاد الاتصال وسهلت الرحلة والنقلة منذ استخدام الجمل في أفريقية[3].

كان للفتح الإسلامي لبلاد المغرب أثره الكبير في دفع المسلمين شمالاً حتى الأندلس وفرنسا، وجنوباً حتى بلاد السودان، ويقال إن حملة إسلامية وصلت في عام

---

(1) إبراهيم علي طرخان, إمبراطورية البرنو الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 1975,ص65 .

(2) أبو الفداء، المصدر السابق، ص 72 .

(3)يقال إن الجمل دخل مصر لأول مرة على أيدي الفرس في القرن السادس قبل الميلاد، وأن الإسكندر المقدوني استخدم الجمل في حملته على سيوة في القرن الرابع قبل الميلاد، وأن يوليوس قيصر استولى على 46 جملاً في منطقة غربي سيوه، ومن بعد قيصر أكثر الرومان من استعمال الجمل، حتى أن الحملة الحربية التي قادها القائد الروماني ستبوسي في عام 19 ق.م وعبر بها الصحراء ووصل إلى حدود السودان، استخدم فيها الجمل(إبراهيم علي طرخان دولة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973,ص48 .

102هـ/ 720م، إلى السنغال، وعادت بكميات كبيرة من الذهب، وكانت أصلاً موجهة لمطاردة البربر.

ليس من شك أن لهذه الصلات المختلفة أثرها في التعريف بالإسلام في بلاد السودان، ثم جاء دور المرابطين في القرن الحادي عشر الميلادي[1].

يذكر عن الملك الأودغستي تيبونان أنه كان شديد التحمس لنشر الإسلام بين قومه وبين الزنوج المجاورين من ناحية الجنوب، وأن الملك تيت بيرونان ابن ونسيو بن نزار الأودغستي كان قد بلغ من سعة النفوذ وقوة السلطان ما جعله سيداً على أكثر من عشرين من ملوك السودان كلهم يؤدون له الجزية. كان هذا الملك يحكم في الفترة ما بين (961- 971م).

كل تلك جهود وصلات مباشرة بين المسلمين وبلاد السودان، لها أثرها لا شك في دخول أعداد كبيرة في الإسلام قبل القرن الحادي عشر. وفي مطلع القرن الحادي عشر الميلادي جاء إسلام ملك التكرور وأرجاني بن رايس (ت حوالي 432هـ/1040م) عنصراً هاماً في ازدياد انتشار الإسلام، وهو صاحب الفضل في إسلام أهل (سلي) من أعمال تكرور. ويقول البكري إن المسافة بين سلي وبين غانة "عشرون يوماً في عبارة بلاد السودان"[2].

والمعروف أن المرابطين لم يقتصر دورهم على نشر الإسلام بين الوثنين، بل تشمل أيضاً، إصلاح عقيدة المسلمين الذين اعتنقوا الإسلام، ولكن لم يلتزموا بأحكامه، فلم يكونوا مسلمين في نظر المرابطين[3].

(1)إبراهيم علي طرخان، دولة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973م، ص 48.

(2)إبراهيم علي طرخان، إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر 1390هـ/ 1970م، ص 42، 43.

(3) طرخان، المرجع السابق، دولة مالي، ص 49.

والمرابطون من صنهاجة، وزعيمهم السياسي يحيى بن إبراهيم الجدالي (ت 1056م) والقطب الروحي لحركتهم عبد الله بن ياسين الجزولي (ت 1059م)، وقد اجتمع حول ابن ياسين نحو ألف رجل، وسماهم المرابطين لأنهم لازموه في رباطه في جزيرة في البحر عند مصب السنغال، أو للزومهم رابطة، وفي هذا المصطلح أيضاً معنى ترابط المجاهدين ووحدتهم[1].

حرض ابن ياسين رجاله على الجهاد في سبيل الله، فنشطوا في نشر العقيدة الإسلامية والتعاليم الإسلامية الصحيحة، وأسلم على أيديهم من لم يعتنق الإسلام من بربر الصحراء أمثال جدالة ولمتونة ومسوفة وغيرهم.

اتجهت حركة المرابطين بعد ذلك للجهاد في بلاد السودان في حياة ابن ياسين وفي زمن إمارة أبي بكر بن عمر اللمتوني (ت 1087م وكانت تعاليم المرابطين قد اجتذبت الكثير من زعماء التكرور والماندنجو واحتلوا بعد ذلك مدينة كومي صالح عاصمة غانة عام 1076م وعينوا عليها حاكماً مسلماً[2].

يقول القلقشندي: "فلما أسلم الملثمون من البربر، تسلطوا عليهم- أي على ملوك السودان بالغزو حتى دان الكثير منهم بالإسلام"[3].

لم يكتف المرابطون بالتحول الاسمي للإسلام، وبفضل هذه الحركة نشطت الاتصالات التجارية والثقافية بين بلاد السودان وبين العالم الإسلامي. ولاسيما شمال أفريقيا وأسبانيا الإسلامية، وهذا ما أتاح الفرصة لنشر الأفكار المتطورة والمدنية

---

(1) الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دولة المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري وآخرون، الجزء الثاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418هـ/1997م.

(2) طرخان ، المرجع السابق ، ص 49.

(3) القلقشندي(أبي العباس أحمد)، صبح الأعشى في صناعة الأنشا ، الجزء الخامس، دار الكتب الخديوية، القاهرة، 1333ه/1915م، ص 293.

الإسلامية بين السود. هذا والمرابطون هم الذين أنشأوا مدينة تنبكت، على منحنى النيجر وسرعان ما أصبحت مركزاً إسلامياً وثقافياً وتجارياً في بلاد السودان[1].

وكانت من أهم هذه المراكز أودغست وغانة، وجني وتمبكت[2].

ويشبه المرابطون في حركتهم ونشاطهم من بعض الوجوه تلك الفرق الحربية الدينية التي اشتهر أمرها خلال الحروب القبلية، ولاسيما فرقة الداوية التي قامت في القدس في القرن الثاني عشر الميلادي.

هكذا كان دور المرابطين، وقد عرفت مالي الإسلام كغيرها من بلاد غربي أفريقية قبل حركة المرابطين وخلال حركتهم، وازداد عدد الداخلين في العقيدة الإسلامية بفضل المرابطين من غير شك، ولعل من أبرز خصائص انتشار الإسلام في بلاد السودان أنه ابتدأ بالطبقات العليا والأسر الحاكمة، ثم انتشر بعد ذلك بين الرعايا[3].

ويعتقد الباحث أن المرابطين قد تمكنوا من نشر الإسلام في هذه البقاع وبين تلك القبائل البربرية بفضل انعزال هذه القبائل وبعدها عن مراكز الإسلام ورغبة هذه القبائل للدخول في الدين الإسلامي.

---

(1) السعدي(عبدالرحمن بن ناصر)، تاريخ السودان، نشر هوداس وتلميذه بنوه طبعة باريس، 1981م، ص 20.

(2) عصمت عبداللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الأسلام في غرب إفريقيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988م، ص 157.

(3) طرخان، دولة مالي الإسلامية، مرجع سابق، ص 50.

طرق وصول الإسلام إلى المنطقة:

وصلت العلوم الإسلامية والثقافة العربية إلى السودان الغربي والوسطى أي منطقة الغرب الأفريقي من الشمال الأفريقي عبر ممرات الصحراء الكبرى وقد فتح العرب المسلمون سواحل منطقة الشمال الأفريقي وجنوب الصحراء الوسطى في القرن السابع الميلادي وأقاموا بها الحكم العربي الإسلامي ونشروا الإسلام الذي غطى المنطقة برمتها بل وجاوزها. وفي جنوب الصحراء الغربية كانت قبائل البربر أبناء المنطقة الذين اعتنقوا دين الإسلام، لاسيما قبيلة صنهاجة تزاول تجارة الذهب مع قبائل السودان الغربي عبر الصحراء الكبرى. ومن المشرق العربي وصل الإسلام إلى مناطق حزام السهل في غرب أفريقيا عبر السودان الشرقي. ومن خلاله وصل إلى الشعوب الأخرى في تلك المنطقة. وقد اتخذت جهود نشر الإسلام بين سكانها الطابع الفردي من خلال التجار المسلمين في حلهم وترحالهم، وعن طريق ممارساتهم للعقيدة الإسلامية حول معظم شعوب مناطق سهل الغرب الأفريقي وسواحلها على المعارف الإسلامية الأساسية(1).

ويلاحظ أن الإسلام قد نفذ إلى غربي القارة الأفريقية عن طريقين هما:

الأول: الطريق الساحلي عبر حوض السنغال، وهو الطريق الذي سلكه المرابطون.

الثاني: طريق التجارة الذي يبدأ من أفريقية الشمالية متجهاً صوب الجنوب عبر واحات الصحراء إلى المدن الكبرى في السودان.

---

(1) عثمان برايما باري، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الأفريقي، دار الأمين للطباعة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1421هـ/ 2000م، ص 4.

وأهم المراكز التجارية في غربي أفريقية بلاد غانة، ومالي، وجنى، وتمبكتو (تمبكت)، وكانو. ومن أهم مراكز التجارة في شمال أفريقية في العصور الوسطى القيروان، وتونس وطرابلس[1].

هناك عدة طرق تربط بين شمال افريقيا والسودان الغربي ، والمشهور من هذه الطرق:

1. من سجلماسة إلى والاتا – تنبكتو – جني غاو .
2. من تلمسان – توات – تنبكتو .
3. من تكرت وورقلة إلى غار..ويتصل هذا الطريق بالموانئ الجزائرية الهامة في الشمال.
4. من واحة الجريد فى جنوب تونس إلى ورقلة ، وسوف او غدامس .
5. من طرابلس الغرب على الساحل الليبي إلى غدامس ، ويمر فرع منه بفزان وينتهي إلى بورنو وغاو .
6. مصر إلى واحة سيوة – زاويلة – تادمكة – غاو – تنبكتو[2].

وقد استطاعت هذه المراكز التجارية أن تنقل الإسلام إلى مملكة غانة الوثنية التي قاومت في البداية هذا التوسع الإسلامي، لكنها لم تستطع أن تصمد أمام التيار الإسلامي الذي بدأ منذ القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) عقب حملات عقبة بن نافع، الذي اندفع إلى غرب القارة ووصل إلى بلاد التكرور وإلى غانة التي ضمت جالية إسلامية في عام 60هـ.

(1) حسن إبراهيم حسن, المرجع السابق, ص 11.

(2) الشيخ الامين محمد عوض الله ، المرجع السابق ، ص 125 .

وأثناء عودة عقبة إلى القيروان، التقى بزعيم البربر ويدعى كسيلة وقاتلهم قتالاً عنيفاً في منطقة تهودة، وقتل عدداً كبيراً من المسلمين واستشهد عقبة بن نافع.

وكان عقبة بن نافع هو أول من حمل قبائل الطوارق على دخول الدين الإسلامي حيث كان لإسلامهم دور كبير في نشره في السودان الغربي، وبعد ذلك جاء موسى بن نصير ليتم ما فتحه عقبة بن نافع فوصل إلى طنجة، وسبتة ووصل أيضاً إلى أغمات، واتصل بجماعات الملثمين وولى زعماوهم بعض الأعمال في أوطانهم، فأقبلوا على الدين الإسلامي وصاروا من خير حماته.

ثم واصل عبد الرحمن بن حبيب سياسة موسى بن نصير في نشر الإسلام في مناطق الصحراء الكبرى ونشروا الدين الإسلامي في مناطق نائية في الجنوب.

وقامت دولتا الأدارسة والعلويون في المغرب الأقصى بنفس الدور الذي قامت به دولة الأغالبة في تونس. فوحدت البلاد، وفرضت الأمن والسكينة، وأقامت حكومة مركزية شارك فيها كل من العرب والبربر، وبدأت حملات لنشر الدين الإسلامي في مناطق غرب القارة[1].

لم تكن ثورات السودان ردة عن الإسلام، وإنما يبدو أنها رغبة في الاستقلال السياسي، بدليل أنه بعد سقوط إمبراطورية غانة وإضعافها سياسياً وعسكرياً ازداد عدد الداخلين في الإسلام، وقامت غانة بدور كبير في نشر العقيدة الإسلامية في منطقة السودان الغربي، حتى اشتهر عن أهل غانة، وأغلبهم من السوننكي حماسهم للإسلام، إذ كانت هذه العقيدة ذات أثر عميق في حياتهم الاجتماعية[2].

---

(1) عبد الله عبد الرازق وآخرون، مرجع سابق، ص 9.

(2) عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق ، ص 125.

وقد تحدث ابن سعيد عن إسلام ملك غانة، وتحمسه لنشر الإسلام فقال: "وهو كثير الجهاد للكفار، وبذلك عرف بشبه". واستمرت هذه الحماسة الدينية حتى بعد استقلالها عن سيادة المرابطين، فانتشر الإسلام بين أهل هذه البلاد، وكثرت المدارس.

ويبدو أن ذلك كان نتيجة للدفعة القوية التي قام بها المرابطون في نشر الإسلام، وقد أعتنق أمراء غانة الإسلام منذ القرن الحادي عشر الميلادي[1].

وتمخضت جهود المرابطين عن إسلام شعب التكرور، الذي كان أول الزنوج الذين أعتنقوا الإسلام، في حركة المرابطين الأول، في أيام الشيخ عبد الله بن ياسين، فعمل التكرور بدورهم على متابعة الدعوة إلى هذا الدين، وأصبحوا دعاة للإسلام بين قبائل الولوف، والفولي والماندنجو، ونشروا المدارس الإسلامية في السودان الغربي فاستوعبت هذه القبائل الإسلام، وأخذوا من حضارة المغرب، وتأثروا بالشريعة الإسلامية، واستعانوا بالدعاة من المرابطين في بلادهم، لتعليمهم الشريعة الإسلامية والقراءة والكتابة حتى أنهم قلدوهم في ملابسهم[2].

هكذا دخل الإسلام إلى مدن وقرى السودان الغربي وتجسد فيها بالأسلوب الإقناعي السلمي. بيد أن درجة الاعتناق والممارسة الدينية اليومية كانت متفاوتة بين أبناء قبائل المنطقة وفئاتها الاجتماعية، وكان اعتناق فرد واحد من أبناء قبائل الفولاني أو السوننكي، أو الماندنجو للدين الإسلامي على سبيل المثال، بمثابة تعزيز جديد لمسيرة الدعوة الإسلامية بكسب داعية يسعى طواعية لاكتساب شخص آخر إلى جانبه يعتنق الإسلام وكانت جماهير غفيرة تتجرف وراء ملوكها أو زعمائها متسارعة معهم في الأقبال على الإسلام لاسيما أصحاب الامتيازات من أبناء الطبقة

(1) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلي العربية: نبيه أمين و منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ط 5، 1968م، ص 639

(2) عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 226.

العليا في ذلك المجتمع كانت تلك هي الخطوة الأولى نحو انتشار الدولة الإسلامية في السودان الغربي، وكأن هناك بحلول القرن التاسع الميلادي بعض المسلمين من قبائل التكرور الفولانية ومن أبناء إمبراطورية غانة القديمة ومملكة كانم الذين أصبحوا مهيئين للاضطلاع بحركات الإصلاح الديني الإسلامي. وشهدت مدينتا أودغست وكومي صالح من مملكتي مالي وغانة قيام مجتمعات إسلامية صاحبها ظهور المساجد المبنية بالأحجار والخاضعة للإشراف الإداري المحكم الذي كان يتولى تعيين ائمتها الملك شخصياً[1].

لما كانت دولة المرابطين أساسها ديني, فقد قربوا إليهم الفقهاء والعلماء, فأرتفع شأن هؤلاء أكثر من ذي قبل [2]. نجد أن وصول الإسلام إلى الجزء الجنوبي للمغرب الأقصى وموريتانيا وانتشار حركة المرابطين التي تبناها أبناء قبيلتي صنهاجة والتكرور الفولانية في حوض نهر السنغال، قد أعطى الإسلام كياناً صلباً وقوة دفع مما أفضى إلى استيلاء المرابطين على شمال أفريقية برمته وبلاد الأندلس ابتداء من القرن العاشر الميلادي. وقد كان يحيى بن إبراهيم هو الذي قاد تلك الحركة بتوصية من عبد الله بن ياسين الداعية الإسلامي الشهير. كما كانت دولة التكرور الفولانية من حيث كيانها السياسي أو الإداري، في وقت لأحق إسلامية الطبع، لاسيما بعد أن اعتنق ملكها (ور– جابي) دين الإسلام وطبق الشريعة الإسلامية في بلاده.

وكان لهذه الحركة التي انضمت إليها قبائل البربر من سكان الصحراء الكبرى والقبائل الفولانية والسوننكية والماندنجية دور حيوي في نشر الإسلام في السودان الغربي. لكن الحروب المختلفة وعوامل الانحطاط أدت إلى سقوط غانة على أيدي

---

(1) عثمان برايما باري، المرجع السابق، ص 5.

(2) عصمت عبد اللطيف دندش, المرجع السابق, ص 132.

قبائل سوما غرور وسونديات الباميرتين وسقوط دولة المرابطين بعد ذلك في سنة 1076م، الأمر الذي أدى إلى انتشار سكان تلك الدولة، المسلمين وغير المسلمين، لاسيما أبناء قبيلة السوننكي الذين كانوا تجاراً أساساً، في مختلف أرجاء السودان الغربي وعلى مجرى نهر النيجر مما ساعد على انتشاره في المناطق الجديدة التي حل بها هؤلاء المهاجرون النازحون[1].

وهكذا بدأ الدين الإسلامي يؤثر في غرب أفريقيا بعقيدته وثقافته وجاءت هجرات البربر المسلمين في موجات متعاقبة نحو الجنوب نتيجة أسباب مختلفة عاملاً مؤثراً في انتشار الإسلام في غربي أفريقيا، فقد وصلت دعوة الإسلام على ضفاف نهر السنغال عن طريق مسلمي المغرب فبلغت الثقافة الإسلامية ديار الملثمين بعد أن تخطى نفوذ الأدارسة جبال أطلس الكبرى، وقد انتشر الإسلام بينهم في القرن الثالث الهجري حيث أقام الملثمون تحالفاً تزعمته لمتونة ومن ثم مضى هذا التحالف في التقدم صوب الجنوب ونشر الإسلام بين القبائل الزنجية في الجنوب, ونتج عن ذلك امتزاج التقاليد الإسلامية بالتقاليد الزنجية المحلية [2]. وقد واصل الملثمون التوسع صوب الجنوب حتى قاربوا منحنى النيجر، وقد ازدهرت الممالك الإسلامية في النطاق السوداني الغربي منذ القرن الثامن الهجري حتى تمكنت من إدماج قبائل هذا النطاق وشعوبه تحت لواء الإسلام[3].

أ/ الدعاة:

المقصود بالدعاة هم المسلمون العاديون من الوعاظ والعلماء والحفاظ، وقد انقسم هؤلاء الدعاة إلي دعاة وافدين من بلاد المغرب ومصر, ودعاة محليين من أهالي

---

(1) عثمان برايما باري، المرجع السابق، ص 9.

(2) عصمت عبد اللطيف دندش, المرجع السابق, ص 149.

(3) يسري عبد الرازق الجوهري، العالم الإسلامي في آسيا وأفريقيا، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1985م، ص 174.

البلاد ولم تكن لهم هيئات تشرف على الدعوة [1]، كما هي الحال في الإرساليات التبشيرية التي تدعمها أوروبا والاستعمار والتي لها غايات وأغراض من وراء ذلك، فإن الإسلام يختلف حيث أن الداعية الإسلامي يعمل من دون واسطة بينه وبين ربه، كما أن الدعوة الإسلامية واجبة على كل فرد، بل يحصل منها المسلم على أفضل الثواب الذي يعمل في حياته الدنيا جاهداً له وهذا هو الهدف، فعن سهل ابن سعد رضي الله عنه أن النبي صل الله عليه وسلم قال لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه: (فو الله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير من حمر النعم). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صل الله عليه وسلم: (من دعا إلى هدي كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً)[2].

وهنا شعور بالمسؤولية التي ألقيت على كواهل المؤمنين من الأفراد بقوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)[3].

وكان السلوك الطيب لهؤلاء الدعاة هو الذي يجلب الناس إلى اعتناق الدين الحنيف، إذ أن الداعية أكثر تشدداً واهتماماً في إزاء واجباته الدينية وأشد تحملاً للمتاعب في سبيل الدعوة ولم يكن بحاجة إلى الخوف من مراقبة سلطة دنيوية عليا كما هي الحال في الإرساليات التبشيرية، لذا كان يعمل بنشاط ولنفسه ويعلم أنه إن أخطأ فله أجر وإن أصاب فله أجران وإنما عليه أن يكون حسن الكلام، وحكيماً في

---

(1) محمود كعت، المصدر السابق،ص 11.

(2) مسلم بن الحجاج أبوالحسن القشيري، المسند الصحيح، ج4، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ص 2060.

(3) سورة آل عمران، الآية 104.

دعوته[1]. كما يقول الحق عز وجل (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)[2].

ب/ التجار:

أرتبطت الدعوة الإسلامية بالتجار ارتباطاً كبيراً، وهذا يدل على صلة انتشار الإسلام بها، فإذا برزت مدينة تجارية كان يؤمها البائع والمشتري وسرعان ما تصبح مركزاً ثقافياً يؤمها المعلم والمريد حتى أصبح من الشائع أن مراكز الاحتكاك تبودلت فيها السلع والأفكار، وقد تغلب الجانب الاقتصادي على بعض المراكز مثل مدينة جني في مالي وتغلب جانب العلم على مراكز أخرى مثل مدينة كانو في نيجيريا واشتهرت مدينة تمبكتو بالأمرين معاً، وكانت القوافل تصل تلك المدن من الشمال عبر الصحراء موردة إليها الخيل والسيوف والأقمشة والملح ثم تعود نحو الشمال حاملة الذهب والعبيد والأخشاب ومنتجات المناطق الاستوائية وكانت هذه المدن غنية بمواردها[3].

وصل الإسلام إلى غرب أفريقيا في القرن العاشر الميلادي عبر الطرق التجارية التالية:

1. طريق شمال أفريقيا نحو تمبكتو ابتداءاً من فاس وتلمسان والقيروان وطرابلس الغرب.
2. طريق شمال أفريقيا نحو منطقة البحيرة تشاد انطلاقاً من المهدية في تونس وطرابلس الغرب وطبرق.

---

(1) محمد فاضل علي بادي وآخرون، المسلمون في غرب أفريقيا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971م، ص 37، 38.

(2) سورة النحل، الأية 125.

(3) محمود كعت, المصدر السابق, ص 12.

3. طريق القاهرة– منطقة بحيرة تشاد عبر وادي النيل.[1]

وللتجار المسلمين الدور الأعظم في انتشار الإسلام في تلك البقاع، وبالرغم من أن القليل منهم كان يجيد الفقه والفكر الإسلامي لعدم استطاعته التفرغ لها فإن معظمهم قام باستقدام الفقهاء والعلماء لهذه المناطق وخاصة عندما يكثر عدد المسلمين بها يتولى هؤلاء العلماء تعليم الناس أمور دينهم وشرح حضارته لهم، وعمد بعض التجار إلى تشييد المدارس حتى وصلت مدارسهم إلي مستوي المدارس المشهورة في ذلك الوقت مثل فاس، والقيروان, وقرطبة وغيرها[2]. وكثيراً ما كانوا يختارون أفذاذ الطلاب من السكان الأصليين لإرسالهم إلى المعاهد الإسلامية الشهيرة في مصر أو الشمال الأفريقي ليتلقوا مزيداً من العلم ليعودوا قادة للفكر الإسلامي في بلادهم، وعندما كثر إقبال الأفريقيين على السفر للتعلم في المعاهد العلمية الشهيرة عمد كثير من التجار المسلمين ببناء بيوت لهم يعيشون بها طيلة التحاقهم بهذه المعاهد، كما قدم هؤلاء التجار ما احتاجه الطلاب من نفقات ومصروفات[3].

ولعب ثراء التجار المسلمين آنذاك دوراً كبيراً في تحسين صورة الإسلام في غرب أفريقيا. كما اهتم المسلمون بالطرق والأمن وحددوا المكاييل والموازين والمقاييس السليمة وكان التاجر المسلم لا يستطيع أن ينسى وهو يعامل الناس قوله تعالى (ويل للمطففين* الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون)[4].

---

(1) المصدر السابق, ص 13.

(2) عصمت عبد اللطيف, المرجع السابق, ص 156.

(3) محمد فاضل علي وآخرون، مرجع سابق، ص 38.

(4) سورة المطففين، الآيات 1–5.

من وسائل التجار أيضاً في نشر الإسلام, قيامهم بتعليم الصبية الأفارقة القراءة والكتابة في الحوانيت ليلاً على ضوء النيران[1].

وكان التجار المسلمون يقيمون الصلاة سواء كانت فرداً أم جماعة، أم جمعة ولا يشربون الخمر ولا يأتون المنكر، وقد جذبت هذه الصفات الحميدة كثيراً من السكان المحليين للانضمام إلى دين هؤلاء التجار. وقد تزوج كثير من التجار المسلمين من النساء المحليات وكن هؤلاء في معظم الأحيان من بيوت رؤساء القبائل وأصحاب النفوذ مما ساعد دخول هؤلاء الرؤساء في دين أصهارهم فتبعتهم باقي القبيلة، وقد لعب تعدد الزوجات دوراً مهماً في خدمة الإسلام، فكان هذا الزواج معروفاً في تلك البقاع ولكن من دون ضوابط أو حدود فجعله الإسلام مشروطاً بالعدالة ولم يسمح بأن يتجاوز عدد الزوجات أربعاً، وكانت الضرورة تقضي في هذه الظروف بعدد الزوجات فالتاجر ترك زوجته في وطنه ويعسر عليه أن يعيش عدة شهور دون زوجته ومن هنا يتخذ له زوجة في المكان الذي يتجر فيه ويصبح بيته مركزاً إسلامياً يلعب دوراً كبيراً في خدمة الإسلام.[2]

وقد لعبت التجارة أيضاً دوراً في وصول الإسلام إلى الطبقة الحاكمة في بعض ممالك أفريقيا الغربية، فمع ازدياد العلاقات التجارية خلال القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين تطور الحضور الإسلامي في هذه الممالك مثل مملكة غانة إلى وجود مستشارين مسلمين في البلاط الملكي وهذا ساعد على توطيد وتعزيز الإسلام في تلك المنطقة[3].

---

(1) محمود كعت, المصدر السابق, ص 13.

(2) محمود كعت, المصدر السابق, ص 14.

(3) محمد فاضل وآخرون، مرجع سابق، ص 39- 40.

ويعتقد الباحث أن طبيعة غرب أفريقيا وخاصة جنوب الصحراء كانت خصبة لتلقي وتقبل الدين الحنيف لذا لم يجد الطرق الصوفية صعوبة في نشر تعاليم الدين الإسلامي، الأمر الذي جعل العقيدة الإسلامية تنتشر بكل سهولة ويسر، وأقبل أهالي تلك البقاع نحو هذا الدين الجديد الذي وجدوا فيه المساواة والعدالة في كافة المجالات.

المبحث الرابع

قيام الممالك الإسلامية في السودان الغربي (مالي – سنغي)

قيام مملكة مالي:

تعد دولة مالي أقوى وأغنى الدول الأفريقية التي ظهرت في السودان الغربي، ويميزها عن غيرها ذلك الدور الكبير الذي نهضت به من أجل توحيد القبائل الزنجية داخل ولايات أو وحدات أو ممالك. وكذلك الدور البارز في نشر الإسلام والدعوة له في جميع بلاد غرب أفريقية.

يقول العمري: "مالي أعظم ممالك السودان، وملكها أعظم ملوك السودان المسلمين وأحسنهم حالاً، وأقهرهم للأعداء"[1].

قامت مملكة مالي على أنقاض مملكة غانة، والمعروف أنه تنافس على عرش مملكة غانة مملكتان أفريقيتان هما مملكتا كانياجا وكانجابا، وقام ملوك كانياجا بقتل أحد عشر أخاً من أسرة كانجابا المالكة، وأبقى على واحد منهم بسبب مرضه هو سندياتا، وشاءت المقادير أن يقوم هذا الطفل العليل بوراثة عرش آبائه، وبدأ يوسع مملكته[2]. ونشأت هذه المملكة في القرن الثالث عشر وقد امتدت من جربيا على نهر النيجر حتى السنغال وشملت مساحة أكبر من غانا وأصبحت أكبر قوة سياسية في غرب أفريقيا[3].

وقام سندياتا– الذي يلقب بماري جاطة– بنقل العاصمة التي كانت في جربيا إلى نياني التي يقال إنها قد أسست سنة 1238م والتي يشار إليها في بعض الأوقات باسم

---

(1) إبراهيم طرخان، المرجع السابق، ص25.

(2) الشيخ الأمين محمد عوض الله، المرجع السابق، ص49.

(3) فيصل محمد موسى، موجز تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، مركز دار النيلين للنشر، الخرطوم، الطبعة الثانية، 1999م، ص36.

مالي أو ماندي، وأظهرت الحفريات التي أجريت في منطقة النيجر في السنوات الأخيرة إلى الكشف عن موقع هذه المدن عند ملتقى النيجر بفرعه سانكارات[1].

تقع مالي بين بلاد برنو شرقاً والمحيط الأطلسي غرباً وجبال البربر شمالاً وينقسم أهلها إلى قسمين يسكن أحدهما: المدن والثاني رحل يتنقلون في البوادي. وتعد مملكة مالي أعظم ممالك السودان الإسلامية، وتشمل على خمسة أقاليم، كل إقليم منها عبارة عن مملكة مستقلة تجتمع حول صاحب مالي ويسميه أهل مصر في العصور الوسطى سلطان تكرور، ولكنه يعرف باسم سلطان وهذه الأقاليم الخمسة هي:

1. مالي ويتوسط أقاليم هذه المملكة وقاعدتها بني (بفتح الباء وسكون النون)[2].
2. صوصو ويقع إلى الغرب من مالي.
3. غانة ويقع غرب صوصو ويمتد إلى المحيط الأطلسي، وبه مناجم الذهب، ويسير إليه المغاربة من سجلماسة يخترقون القفار والمفاوز، وقد أسلم أهل هذا الإقليم في صدر الإسلام.
4. كوكو ويقع شرق إقليم مالي وقاعدته كوكو، وبينها وبين مدينة غانة القديمة مسيرة شهر ونصف شهر.
5. تكرور ويقع شرق إقليم كوكو وقاعدته مدينة تكرور. ولباس عامة أهله الصوف ولباس خاصتهم القطن، وطعامهم الذرة والألبان والسمك: ويحمل إليهم تجار المغرب الأقصى الصدف والنحاس والخرز ويحملون منه التبر.

---

(1) الشيخ الأمين محمد عوض الله، المرجع السابق، ص49–50.

(2) حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص102.

وقد أثار قيام هذه المملكة عداء ملك صوصو الذي بدأ يعمل على القضاء على الملك الجديد. وكادت جهود ملك صوصو وفق أول الأمر تكلل بالنجاح للقضاء على مملكة الماندنجو، وكاد أكثر أهلها يدخلون في طاعته.

ولما آل الملك إلى سندياتا في سنة 1230م، استطاع أن يجعل من مملكته الصغيرة إمبراطورية عظيمة هي إمبراطورية مالي [1]. تتكون كلمة ماندي في لهجة قبائل السوننك إحدى فروع الماندنج من مقطعين هما: ما Ma + دي Di وحرف الربط بينهما هو (ان N)، ويعني المقطع دي في اللهجة السوننكية (في) أو (عند)، ويعني المقطع (ما) السيد، ومن ثم فإن كلمة ماندي تعني عند السوننك: عند السيد أو في مركز إقامة السيد أو الحاكم، وبمعنى آخر العاصمة[2].

وكلمة مالي حسب الموسوعة الأمريكية تعني: حيث يقطن الحاكم أو الملك، أما مصطفى مؤمن فيذكر أن كلمة مالي تعني بلغة أهل البلاد البرنق أو فرس النهر وهو رمز القوة والبأس براً وبحراً، كما اشتهرت مالي باسم بلاد التكرور (بضم التاء) واشتهر ملكها باسم ملك التكرور أو سلطان التكرور وهذا ما ذكره القلقشندي، والصواب أن تكرور هي إحدى المدن أو الممالك أو الأقاليم التي خضعت لسيادة مالي، وذلك حسب ما أكده العمري، كذلك فقد عرفت هذه الدولة باسم مملكة مالي وباسم بلاد التكرور في الحوليات المصرية التي كتبت في ذلك العصر، وقد اشتهرت مملكة مالي بأكثر من اسم فهي تارة دولة الماندنج وأخرى مالي ثم هي مملكة التكرور[3].

---

(1) حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص102-103.

(2) إبراهيم طرخان، المرجع السابق، ص27.

(3) محمد فاضل وآخرون، المرجع السابق، ص79.

وعموماً، كلمة (ماندي) مصطلح لغوي أكثر من جنسي، فهو يطلق ويراد به مجموعة القبائل المتكلمة بلغة الماندي. ومن القبائل المتكلمة بهذه اللغة الماندنكا أو المالكنا، وهي الفرع الرئيسي الذي غلب اسمه على دولة مالي، وكذلك قبائل البامبارة ويحرف أيضاً إلى البانمانا وهي التي نهضت في القرن السابع عشر الميلادي، بعد زوال مالي، واعتبرت امتداد لها كما اعتبرت آخر ممثل سياسي لدولة مالي التاريخية وذلك خلال حركة الاستعمار الأوربي لأفريقيا.[1]

ومن فروع الماندنجو، الديولا Dyula أو الجيولا Giula والسومونو Somono والبوزو Boso والسوننك، على أن أهم هذه الفروع أربعة هي: المالنك، والبامبارة، الديولا، والسوننك[2].

ويلاحظ على هذه الفروع، أن البامبارة والديولا والمانديكا تتشابه في اللهجة والنظم الاجتماعية وإلى حد ما المستوى الثقافي، غير أنها تفترق عن بعضها نتيجة لاختلاف محل إقامتها ومدى انتشارها واتجاه تاريخ كل منها، وبسبب عدم انتشار الإسلام بينها كلها في وقت واحد. أما السوننك، فتغلب عليها الدماء البربرية والفولانية، لاختلاطها بها ومن ثم هناك بعض التغير في ألوانها، حتى أن قبائل الجلف تطلق على السوننك اسم السراكول ومعنى هذه الكلمة بلغة الجلف الناس الحمر أو البيض.

وتدعي جميع فروع قبائل الماندنجو أنها جاءت أصلاً من الشرق مع أن السعدى يقول عن أهل مالي "وهم سودان في الأصل"[3].

---

(1) محمد فاضل وآخرون، المرجع السابق، ص79.

(2) إبراهيم طرفان، المرجع السابق، ص29.

(3) السعدي (عبد الرحمن بن ناصر) ، تاريخ السودان ، نشر هوداس وتلميذه بنوه ، طبعة باريس ، 1981م ، ص 13 .

ولقد أشار الكتاب العرب من المؤرخين والجغرافيين إلى دولة مالي باسم مل أو مالي أو ملي ونحوها، ومن هؤلاء الكتاب: البكري، وأبو حامد الغرناطي، والإدريسي وابن سعيد وأبو الفداء والعمري وابن بطوطة وابن خلدون والقلقشندي وليو الأفريقي وابن إياس والسعدي صاحب النفائس(1).

فإذا أطلقت كلمة مالي، فإنها تعني العاصمة، كما تعني كلمة الدولة.

تاريخ مملكة مالي:

عرف التاريخ القديم لمالي من خلال مصدرين: المصدر الأول هو الروايات والأخبار الشخصية التي تناقلت بين الشعب في تلك المنطقة والمصدر الثاني المراجع العربية المدونة. ففي حين طغت الأفكار الوثنية على الحكايات الشفهية الأفريقية نرى أن المصادر والروايات العربية شددت على النواحي الإسلامية للحياة، وعلى الرغم من أن هذين المصدرين اختلفا بوجهات النظر إلا أنهما كانا مكملين لبعضهما. ومن المصادر العربية المدونة عن مالي ما ذكره كل من القلقشندي وما دونه ابن بطوطة في رحلته عام 1353م، كما أشار إليها ليون الأفريقي الذي زارها في القرن السادس عشر. أما ابن خلدون فقد استقى معلوماته عن تاريخ مالي من الشيخ عثمان ففي مدينة كومي صالح عاصمة غانة الذي زار القاهرة عام 1394م في طريقه إلى الحج كما هناك روايات أفريقية ومخطوطات بالعربية محفوظة في دكار وترجم بعضها إلى الفرنسية(2).

تأسست مملكة مالي منذ زمن بعيد ويقال إنه يعود لقبل عام 1000 ق.م، وكان العرق الطاغي من شعبها يتألف من قبائل الماندنجو التي عرفت أيضاً باسم مالينك أوشعب مالي وتتكلم لغة الماند، ويقال إن المملكة تعرضت لجفاف عام 1050م ضاق به أهلها، ولما سأل ملك مالي أحد التجار المسلمين عن الحل اقترح هذا التاجر على

---

(1) إبراهيم طرخان، المرجع السابق، ص30.

(2) محمد فاضل وسعيد إبراهيم، المرجع السابق، ص 77.

الملك أن يعتنق الإسلام ويقيم صلاة الاستسقاء لكي يرسل الله المطر، فهطل المطر وأصبح هذا الملك تقياً وورعاً. خضعت مالي لمملكة غانة ردحاً من الزمن، وبين نهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر الميلاديين استولت قبائل الصوصو الزنجية الوثنية على منطقة غانة وعلى منطقة كانقايا التي كانت تقطنها قبائل الماندنجو[1].

أما ظهور قبائل الماندنجو السياسي على مسرح التاريخ الأفريقي لأول مرة، فهذا يرجع إلى زمن بعيد، ومعلوماتنا قليلة عن التاريخ القديم لدولة الماندنجو وذلك بسبب ندرة المصادر واختلاط الروايات الشفوية بالأساطير. ثم أن السجلات والوثائق الخاصة بدولة الماندنجو، لم تدون إلا بعد مرور نحو سبعة أو ثمانية قرون من ظهورها، علماً بأن هذه الوثائق والسجلات لم تعن إلا بأخبار الأسر الحاكمة دون الرعايا، مع نقص أيضاً في هذه الأخبار(2).

هناك رواية تقول إن ظهور الدولة يرد إلى الفترة التي تكونت خلالها دولة غانة، وذلك قبل البعثة النبوية بزمن طويل، وأنه خلال تلك الفترة التي يقدر مداها الزمني بعهود حوالي اثنين وعشرين ملكاً في غانة. كانت دولة الماندنجو تنمو وتتسع تدريجياً في إقليم كانجابا بأعلى نهر النيجر، وقد بدأ المعروف عن تاريخ هذه الدولة، يتضح منذ القرن السابع الميلادي، على أنها بلغت ذورة مجدها خلال القرن الرابع عشر الميلادي(3).

---

(1) محمد فاضل وسعيد إبراهيم، المرجع السابق . ص 78.

(2) إبراهيم طرخان، المرجع السابق، ص32.

(3) إبراهيم طرخان، المرجع نفسه، ص32.

دور المرابطين في نشر الإسلام في مالي:

لم يكن المرابطون أول من أدخل الإسلام إلى بلاد السودان الأوسط والغربي في القرن الحادي عشر الميلادي – كما هو متواتر– بل إن الإسلام وصل إلى تلك البقاع في القرن نفسه الذي ظهر فيه، وهو القرن السابع الميلادي، فقد أشار أحمد بابا مؤرخ صنغي إلى وجود اثني عشر مسجداً في مدينة غانة "كومي صالح" حوالي عام 90هـ/ 979م، كما أن إمبراطورية أودغست الإسلامية، وهي التي كونها السوننك إحدى فروع الماندنجو، قامت بدور في نشر الإسلام منذ القرن التاسع الميلادي، ومع أن حكام أودغست من البربر البيض من قبيلة صنهاجة إلا أن سكانها ومؤسسيها من السوننك السوداني، وتقع هذه المدينة شمالي غربي كومي صالح عاصمة غانة ويقول أبو الفداء: "وهي في براري سودان المغرب"[1].

يقول ابن خلدون: "ثم إن أهل مالي كثروا أمم السودان في نواحيهم تلك واستطاعوا إلى الأمم المجاورين لهم فغلبوا على صوصو وملكوا جميع ما بأيديهم من ملكهم القديم وملك أهل غانة إلى البحر المحيط من ناحية الغرب وكانوا مسلمين يذكرون أن أول من أسلم منهم ملك اسمه برامندانة.. وحج هذا الملك واقتفى سنته في الحج ملوكهم بعده[2].

ويقول ماحي سيدي مؤرخ مالي إن الإسلام انتشر في مالي على أيدي فقهاء لمتونة في بداية القرن الحادي عشر الميلادي.

ويتبين من كلام ماحي سيد أن الإسلام إنما انتشر في مالي عن طريق الفقهاء وبلا قتال.

---

(1) إبراهيم طرخان، المرجع السابق، ص47.

(2) الشيخ الأمين محمد عوض الله، المرجع السابق، ص50.

أما تحديد شخصية الملك برمندانة.. فهناك شخصان يحملان هذا الاسم من بين ملوك مالي أحدهما من أسرة الكونانتيت، التي سبقت أسرة كيتا في حكم مالي وتلك هي شخصية مانسا برمندانه الذي كان يعيش في القرن الحادي عشر الميلادي ويعاصر المرابطين ويؤرخ للإسلام وحج هذا الملك بحوالي سنة 1050م، وربما كان اسم برمندانة من أسرة كيتا التي تؤرخ لقيامها في عرش مالي بحوالي عام 1150م (545هـ) وتلك هي شخصية موسي ريجيو الذي كان يحكم في مطلع القرن الثالث عشر الميلادي والذي اشتهر باسم اللاكوي، وكذلك باسم سريندانة الذي قد يكون محرفاً إلى برمندانة[1].

والمعروف أن المرابطين لم يقتصر دورهم على نشر الإسلام بين الوثيين، بل شمل ايضاً، إصلاح عقيدة المسلمين الذين اعتنقوا الإسلام، ولكن لم يلتزموا بأحكامه، فلم يكونوا مسلمين في نظر المرابطين.

والمرابطون من صنهاجة، وزعيمهم السياسي يحيى بن إبراهيم الجدالي (ت1056م)، والقطب الروحي لحركتهم عبد الله بن ياسين الجزولي (ت 1059م)، وقد اجتمع حول ابن ياسين نحو ألف رجل، وسماهم المرابطين لأنهم لازموه في رباطه في جزيرة في البحر عند مصب السنغال، أو للزومهم رابطته وفي هذا المصطلح أيضاً معنى ترابط المجاهدين ووحدتهم[2].

حرض ابن ياسين رجاله على الجهاد في سبيل الله، فنشطوا في نشر الإسلام والتعاليم الإسلامية الصحيحة، وأسلم على أيديهم من لم يعتنق الإسلام من بربر الصحراء أمثال جدالة ولمتونة ومسوفة وغيرهم.

---

(1) الشيخ الأمين محمد عوض الله، المرجع السابق، ص51.

(2) إبراهيم طرخان، المرجع السابق، ص 48-49.

اتجهت حركة المرابطين بعد ذلك للجهاد في بلاد السودان، في حياة ابن ياسين، وفي زمن إمارة أبي بكر بن عمر اللمتوني (ت 1087م) وكانت تعاليم المرابطين قد اجتذبت الكثير من زعماء التكرور والماندنجو، واحتلوا بعد ذلك مدينة كومي صالح عاصمة غانة عام 1076م وعينوا عليها حاكماً مسلماً[1].

يقول القلقشندي: "فلما أسلم الملثمون من البربر، تسلطوا عليهم، أي على ملوك السودان– بالغزو حتى دان الكثير منهم بالإسلام"[2].

لم يكتف المرابطون بالتحول الأسمى للإسلام، بل أرسلوا العلماء بين القبائل السودانية لبث العقيدة الصحيحة، وبفضل هذه الحركة نشطت الاتصالات التجارية والثقافية بين بلاد السودان وبين العالم الإسلامي، ولاسيما شمال أفريقية وأسبانيا الإسلامية، وهذا ما أتاح الفرصة لنشر الأفكار المتطورة والمدنية الإسلامية بين السود، هذا والمرابطون هم الذين أسسوا مدينة تنبكت، على منحنى النيجر. وسرعان ما أصبحت مركزاً إسلامياً وثقافياً وتجارياً في بلاد السودان ويشبه المرابطون في حركتهم ونشاطهم من بعض الوجوه تلك الفرق الحربية الدينية التي اشتهر أمرها خلال الحروب الصليبية ولاسيما فرقة الداوية التي قامت في القدس في القرن الثاني عشر الميلادي[3].

هكذا كان دور المرابطين، وقد عرفت مالي الإسلام كغيرها من بلاد غربي أفريقية، قبل حركة المرابطين وخلال حركتهم، وازداد عدد الداخلين في العقيدة الإسلامية بفضل المرابطين من غير شك، ولعل من أبرز خصائص انتشار الإسلام

---

(1) إبراهيم طرخان، المرجع السابق، ص49

(2) القلقشندي، المصدر السابق، ص 293.

(3) إبراهيم طرخان، المرجع السابق، ص50

في بلاد السودان أنه ابتدأ بالطبقات العليا والأسر الحاكمة، ثم انتشر بعد ذلك بين الرعايا، وتوضح لنا قصة إسلام أول ملوك مالي هذه الحقيقة، وإن لم توضح أن الإسلام دخل مالي لأول مرة في عهد ذلك الملك[1].

قيام إمبراطورية صنغي:

قامت إمبراطورية صنغي* في منطقة وسط نهر النيجر بغرب أفريقيا في القرن السابع الميلادي، وكانت تلك الدولة قوية اقتصادياً [2]، ولعل دولة صنغى (سنغي= سقي) من أطول الدول عمراً فقد بدأت بذورها في القرون الميلادية الأولى، وعاصرت إمبراطورية غانة وإمبراطورية مالي، وانتهت غانة ومالي وبقيت صنغي حتى 1594م، ولكن تاريخها ينقسم قسمين فيما يتعلق بالإسلام فقد عاشت وثنية حتى سنة 1009م ثم اعتنق ملكها الإسلام في هذا التاريخ وأصبحت لها حضارة الإسلام ومبادئه.

وقبائل الصنغي كانت تعيش على شاطئ نهر النيجر في الجزء الممتد من الأنحاء إلى قرب المصب تقريباً، في أراضي الدندي شمال غرب نيجيريا الحالية وشمالي داهومي، وقد انقسمت هذه القبائل قسمين، قسم اشتغل بالزراعة فاستقر بالأرض، وقسم اشتغل بصيد الأسماك فراح ينتقل من مكان إلى مكان آخر على طول منحنى النهر، وكان هؤلاء يسمون (سركو) ولكن الصيادين دأبوا على العدوان على

---

(1) إبراهيم طرخان، المرجع السابق، ص50.

(*) نسبة إلى قبيلة سنغاي، وهي قبيلة كانت تسكن النيجر حول حدود الغابات الأستوائية في سنوات الميلاد، ثم أخذت تنتقل إلى الشمال مع النيجر، و في القرن السابع الميلادي كانت مساكنها حول النيجر بحوالي 150كلم. (عبدالقادر زبادية، مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 25.

(2) عثمان برايما باري، المرجع السابق، ص44.

الفلاحين، ولعل ذلك كان استنكاراً لجنوح إخوانهم للفلاحة، فقد كانت الفلاحة عندهم عملاً فيه استسلام وذلة لا تليق بالمغامرين[1].

في غرب أفريقيا خلال الفترة التي سبقت الاستعمار الغربي، وكانت تقع شمال ما يسمى اليوم بنين وبوركين فاسو وغرب النيجر وامتدت في الشرق إلى أطراف غامبيا والسنغال، وكانت عاصمتها مدينة غاوا (جوا) التي تقع على نهر النيجر [2]. وتعود الصياديون أن يجمعوا قواربهم وأن يهجموا على قري الفلاحين من حين لآخر ويخطفوا من متاعهم ما يستطيعون الحصول عليه ويقتلوا من اعترضهم ثم يفروا قبل أن يجتمع ضدهم الفلاحون. وفي حوالي عام 700م هاجرت جماعات من قبيلة لمتونة البربرية إلى مناطق الفلاحين واستطاع أحد أفراد هذه القبيلة، واسمه زا اليمن أن يهاجم الصيادين في المكان الذي يختفون به ويطردهم بعيداً إلى الشمال [3]. وتولت إدارة المنطقة التي اتسعت تدريجياً عبر وادي النيجر حتى عام 1325م. وكانت كوكيا حاضرة بلادهم، تقع في جزيرة بنتيا في النيجر وعلى بعد 60 ميلاً جنوبي جاو (جاغ) ثم نمت دولتهم باطراد في ظل تلك الأسرة البربرية التي اختلطت دماؤهم بدماء أهل البلاد الأصليين[4].

وقد بدأت دولة صنغي كدولة صغيرة، وجاءتها هجرة من بربر لماطة تدفقت على النيجر في القرن السابع الميلادي واستطاعت أن تبسط نفوذها على الفلاحين من أصل صنغى الذين ينتشرون على ضفة النيجر الأوسط، ثم بدأت هذه الدولة تنمو نمواً مطرداً.

---

(1) أحمد شلبي، المرجع السابق، ص121.

(2) محمد فاضل علي وآخرون، المرجع السابق، ص110.

(3) محمد فاضل وآخرون، المرجع نفسه، ص110.

(4) عبد الرحمن زكي، المرجع السابق، ص133.

ثم بدأت المرحلة الحاسمة في تاريخ هذه الدولة في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، حيث اعتنق ملكها زاكي الإسلام[1].

ويتجه السعدي إلى اعتبار النظام الملكي في صنغى ابتدأ من زا اليمن ويسميه ذا الأيمن فهو بذلك ينظر إلى الحكومات السابقة لعام 700م على أنها حكومات قبائل وليست نظاماً ملكياً، ويقول السعدي في ذكر ملوك صنغى: أول من تملك فيها زا الأيمن ثم زا زكي ثم... هؤلاء أربعة عشر ملكاً ماتوا جميعاً في جاهلية وما آمن أحد منهم بالله ورسوله، والذي أسلم هو الملك الخامس عشر واسمه ذاكوسوي ويقال له في لغتهم مسلم دم ومعناه أسلم طوعاً بلا إكراه، وذلك في سنة أربعمائة من الهجرة، وقد نقل هذا الملك عاصمته من كوكيا إلى جاو [2]. ويعدد السعدي الملوك المسلمين الذين يلقب كل منهم بلقب زا مت (علي كلن" الذي اتخذ لقب سني بدل زا[3].

ويشرح السعدي مطلع هذا النظام الملكي فيذكر أن الملك الأول زا الأيمن جاء من اليمن، وكان هو وأخوه سائرين في أرض الله تعالى حتى انتهى بهما القدر إلى بلد كوكيا على ساحل البحر في أرض صنفى، وقد بلغاه في حالة يائسة، ولما سئلا من أين جاءا قال الأكبر: جئنا من اليمن، فأصبح معروفاً عندهم بأنه ذا الأيمن بتحريف اقتضه اللغة، وكان أهل صنغى وثنيين، وتروي الأساطير أن الوافد من اليمن ذكر لهم أنهم على ضلال مبين ودمر هذا الوثن، وقتل حوتاً كان يظهر الشيطان في صورته، فأقبل عليه الناس وبايعوه ملكاً عليهم، وجعل هذا مقره لمدة جوجو "كوكيا".

---

(1) الشيخ الأمين محمد عوض الله، المرجع السابق، ص65-66.

(2) أحمد شلبي، المرجع السابق، ص 122.

(3) السعدي، المصدر السابق، ص 3.

وتلتقي الروايتان على كل حال في أن النظام الملكي ابتدأ من سنة 700م كان للبيض وافدين من الشمال أو من اليمن[1].

وتوسعت المملكة فشملت كل الأراضي المحيطة بنهر النيجر وضمت مملكة موشي الزنجية، ودخلت بلاد شمال نيجيريا (إمارة الهوسا) وبلاد الماندنجو والفولاني، وأجزاء من بلاد الطوارق شمالاً، ووصلت المملكة لأقصى اتساع لها في عهد أسكيا محمد، الذي امتد سلطان صنغاي في عهده من بلاد ماندنجو والفولاني في الغرب إلى أغاديس وحدود الهوسا شرقاً، ومن بلاد الموشي جنوباً إلى بلاد قعازة شمالاً*.

دخول الإسلام إلى مملكة صنغاي:

بدأ الإسلام يتسرب بين صفوف شعب صنغاي في ظروف متشابهة لنفس الظروف التي تسرب بين شعبي غانة ومالي وغيرهما من شعوب السودان الغربي، وليس ببعيد أن تكون هذه المناطق تلقت بعض المؤثرات الإسلامية عن طريق العلاقات التجارية[2]. وقد نمت علاقات هذه البلاد التجارية مع غانة وتونس وبرقة ومصر عن طريق "تاد مكة" أي مكة الجديدة، الذي يعد مركزاً هاماً لطرق القوافل التجارية. وكانت هذه العلاقات التجارية ذات أثر بعيد في تحول هؤلاء الملوك إلى الإسلام في القرن الحادي عشر الميلادي عن طريق شمال أفريقية، وإن كان كثير من رعاياهم قد ظلوا على وثنيتهم. وفي ذلك الوقت نقلت حاضرة هذه البلاد على مقربة من طرق القوافل الرئيسي إلى مدينة جوا (بضم الجيم) عند منحنى نهر النيجر. وقد

---

(1) أحمد شلبي، المرجع السابق، ص122-123.

*راغب السرجاني، الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، مؤسسة اقرأ، القاهرة، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، 1429- 2005م، ص 348.

(2) محمد فاضل وآخرون، المرجع السابق، ص111.

أصبحت من أهم مراكز التجارة في السودان الغربي وهي تشبه مدينة غانة بالنسبة إلى البلاد الواقعة في أعالي النيجر[1].

ومن ثم فقد بدأ الإسلام ينتشر في ذلك الوقت وفي تلك الأماكن وقد اتخذت هذه القبائل التي بسطت نفوذها على أهالي تلك المناطق عاصمة لها هي كوكو وتدعى أيضاً كوكيا. ونظراً لموقعها الممتاز وأهميتها التجارية فإنها ارتبطت بعلاقات تجارية وثيقة مع التجار المسلمين القادمين من الشمال والشمال الشرقي وكذلك مع بلادهم الإسلامية، ومن هنا جاء الأثر المباشر لانتشار الإسلام في كوكو وما حولها من المدن والبلاد، وكان ذلك نتيجة لاستقرار التجار وأسرهم والعلماء والدعاة والتزاوج بين هؤلاء وأهالي البلاد الأصليين وعلى هذا يمكن القول إنه في القرن التاسع الميلادي كانت توجد جاليات وأسر إسلامية كثيرة في صنغاي، وبذلك فإن الإسلام في صنغاي القديم أقدم من انتشاره في بلاد المغرب العربي. فلم يكن التاجر أو الداعي أو المهاجر يقصد من وراء ذهابه إلى تلك الديار إلا أن يدعو لدين الله الخالد دين الإسلام، ولذا فإنه بعد أن يعتنقه حكامها فإن معظم سكان البلاد يقبلون على اعتناقه، وعن طريق الإسلام وانتشاره فإن قدراً كبيراً من المدنية والرقي والتقدم يدخل الديار التي دخلها دين الإسلام[2].

وجاء انتشار الإسلام بصورته الواسعة إبان حركة المرابطين التي خدمت الإسلام في البلاد التي سقطت في أيديهم والمناطق الأخرى المجاورة. وشهد قيام إمبراطورية صنغاي تدفق حركات الهجرة عبر الصحراء الكبرى بسبب تحول عاصمتها كوكيا إلى مركز تجاري ذي شأن عظيم في منطقة السودان الغربي. وكانت

---

(1) حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص109.

(2) محمد فاضل وآخرون، المرجع السابق، ص112.

ثمة قبائل نازحة ووافدة من أقصى شمال الصحراء الكبرى من بقايا القبائل البربرية، سيما قبيلتي زا وديا. واستطاعت هاتان القبيلتان انتزاع السلطة والحكم من أيدي أبناء المنطقة الأصليين ونقلوا العاصمة من كوكيا إلى غاو في القرن التاسع الميلادي واشتهرت غاو باجتذاب الأنشطة التجارية عبر الصحراء الكبرى واستقرار المهاجرين فيها. وتحولت مجتمعات تلك الإمبراطورية بحلول القرن الحادي عشر الميلادي إلى مجتمع إسلامي كامل المعالم[1].

وقد زاد عدد الداخلين في العقيدة الإسلامية بفضل المرابطين وجهودهم العظيمة في نشر الإسلام، ولعل ظهورهم كقوة إسلامية كبرى في بلاد السودان الغربي قد ساعد على انتشار الإسلام بين العامة والخاصة من شعب صنغاي[2].

ويذكر أن الملك الأول الذي اعتنق الإسلام سمي ضياء كوسوي، سنة 1009م، وأن ذلك كان قبل غزوات المرابطين، ويقرر كذلك أنه قد سبق غزوات المرابطين لهذه المناطق في غرب أفريقيا قدوم بعض رجال المرابطين من الطلائع سواء أكانوا من التجار أو من الدعاة، ويذكر أيضاً أنه قد تم العثور سنة 1939م في بلدة "ساني" على بعد حوالي أربعة أميال من مدينة (جوا) الحالية على شواهد لقبور ملكية يعود تاريخها إلى نهاية القرن الحادي عشر، وقد كتب على إحدى هذه الشواهد ما يلي: "هنا جثمان الملك الذي دافع عن دين الله، ويرقد الآن في رعايته أبو عبد الله محمد سنة 494هـ/ 1100م.

ومع أن ملوك صنغى دخلوا الإسلام في مطلع القرن الحادي عشر، فإن شعب صنغى لم ينتشر به الإسلام إبان الحركة التي قام بها المرابطون في منتصف هذا

---

(1) عثمان برايما باري، المرجع السابق، ص45.

(2) محمد فاضل وآخرون، المرجع السابق، ص113.

القرن وأواخره، والمرابطون لم يدخلوا صنغى، ولكن حركتهم دفعت الإسلام للتقدم حتّى في خارج حدودهم[1].

ومن هذه الأقوال يتضح أن تاريخ الإسلام بإمبراطورية صنغى لم يدخل دفعة واحدة فإن هناك جموعاً دخلت الإسلام قبل إسلام الملك زاكوس وجموعاً أخرى دخلت الإسلام مع الملك، ثم جاء انتشار الإسلام بصورته الواسعة إبان حركة المرابطين التي خدمت الإسلام، في البلاد التي افتتحها المرابطون وفي البلاد المجاورة لها، وهذا يفسر ما يبدو من خلاف بين الروايات التي تتحدث عن إسلام منطقة كوكو، فياقوت الحموي يقول عن كوكو إنها من الأقاليم الأولى وملكهم يظاهر رعيته بالإسلام، وأكثرهم يظاهر به، وله مدينة على النيل (النيجر) من شرقيه بها أسواق ومتاجر، ومدينة أخرى على غربي النيل يسكنها هو ورجاله، وهناك مسجد للجماعة بين المدينتين، ويقول ابن سعيد المغربي عن بلاد كوكو إنها بلاد السودان، وصيت كوكو يضرب به المثل، وهو يقابل مسلمي غانة من الغرب ومسلمي كانو من الشرق.[2]

ويرى الباحث أن الدور الذي قام به عبد الله بن ياسين من دعوة وجهاد وتوعية اتباعه كان له الأثر الأكبر في انتشار الإسلام في السودان الغربي وبخاصة في مملكة صنغاي، وهذا ما يؤكد دور المرابطين في نشر العقيدة الإسلامية الصحيحة، وتعاليم الدين الحنيف في تلك البقاع.

---

(1) أحمد شلبي، المرجع السابق، ص124.

(2) أحمد شلبي، المرجع السابق، ص124.

الفصل الثالث

انطلاقة المرابطين إلى المغرب الأقصى

المبحث الأول

انطلاقة المرابطين إلى المغرب الأقصى

الخروج من الصحراء واحتلال منافذها التجارية:

كان للانتصارات التي أحرزها المرابطون وإمامهم عبد الله بن ياسين أصداء واسعة النطاق امتدت حتى بلاد المغرب. فقد تلقى عبد الله بن ياسين ويحيى بن عمر كتاباً من أهل سجلماسة * ودرعة بالمغرب يرغبون فيه في تطهير بلادهم من الظلم والجور تحت وطأة أميرهم مسعود بن وانودي المغراوي، فعرض ابن ياسين الأمر على رؤساء المرابطين فوافقوه على ذلك. ولكن المؤرخين اختلفوا في تفسير خروج المرابطين من الصحراء واتجاههم شمالاً، فيرى بعضهم أن ذلك يرجع إلى عامل سياسي وهو قوة مملكة غانة في الجنوب واشتداد ضغطها على المرابطين الذين اضطروا أمام هذا الضغط إلى الاتجاه شمالاً، ويرى الكثير من المؤرخين أن سبب خروج المرابطين من الصحراء يرجع إلى عوامل اقتصادية تقوم على رغبة المرابطين في التحكم في طرق التجارة الشمالية والتمتع بأراضي المغرب القصية، بعد أن تعرض بلادهم للجفاف والقحط [1]. ويقول أحد المؤرخين المحدثين إن هناك عاملاً رئيسياً جديداً دفع بهذه القبائل إلى التكتل والاندفاع إلى خارج الصحراء شمالاً وجنوباً، وهذا العامل هو الإسلام. فالمرابطون كانوا قبل كل شيء أصحاب رسالة دينية يريدون تحقيقها، وهذا هو السبب الأساسي في خروجهم من الصحراء شمالاً نحو المغرب وجنوباً نحو السودان(2).

(*) سجلماسة : في صحراء المغرب، بينها وبين البحر خمس عشر مرحلة، وهي على نهر يقال له زيز .(الحميري، المصدر السابق، ص 305.

(1) النويري، المصدر السابق، ص 485- 486.

(2) عبد الواحد شعيب، المرجع السابق، ص16-17.

ظلت قبائل الملثمين الصنهاجية تحارب السود منذ قدومها وبذا كان اتجاه توسعها نحو الجنوب، ولم يتغير اتجاهها إلا في زمن الدعوة المرابطية، عندما تحولت أنظار هذه القبائل نحو الشمال وتوسعت باتجاهه، حتى وصلت إلى المتوسط وتجاوزته عند مضيق جبل طارق لتصل إلى أواسط أسبانيا.

لعل أول خطواتهم على هذا الطريق كانت إتمام ضم بقية قبائل صنهاجة البدوية، التي كانت موطنها في جنوب المغرب الأقصى إلى دعوتهم، وقد وصلهم ذلك بمنطقة الواحات التي تحف بالصحراء من الشمال وفيها كل ما يطمع إليه البدو من خصب ومياه. وتلا ذلك الخطوة المتمثلة بالاندفاع نحو الواحات والتي تمت في وقت شمل فيه الجفاف والقحط المنطقة، إلي حد ندرت فيه الأقوات فغلت بالتالي أسعارها إلى درجة خيالية، حتى سمي العام 444هـ/ 1052م الذي سبق غزو المرابطين لسجلماسة أول الواحات عام درهم أوقية[1].

ربما لبلوغ سعر أوقية القمح درهماً، وإذا كان القحط يؤثر بهذا الشكل على المناطق الحضرية، فإنه يهدد بالموت سكان الصحارى. ولا تخلو المصادر التاريخية القديمة من إشارة لحالة البؤس التي وصل إليها المرابطون قبل هجومهم على سجلماسة[2]. إذ يروي ابن الأثير أنه عندما قحطت بلادهم أمر ابن ياسين ضعفاءهم بالخروج إلى السوس وأخذ الزكاة فخرج منهم نحو تسعمائة رجل فقدموا سجلماسة وطلبوا الزكاة فجمعوا لهم شيئاً له قدر وعادوا. لكن التقدم نحو الشمال لم ينته عندما انتهت المجاعة، بل استمر هؤلاء في تقدمهم نحو الشمال في المغرب الأقصى. ويبدو أن الدافع هنا يعود لاحتكاكهم بالزناتيين أعداء صنهاجة التقليديين من جهة كما

---

(1) ابن عزارى، المصدر السابق، ص255.

(2)عبد الواحد شعيب، المرجع السابق، ص 18

اضحوا يسيطرون الآن على مناطق حضرية عريضة، وطمع البدو الفقراء بإملاء الحضر الأغنياء.

فقد كان الزناتيين أتباعاً للأمويين وأدواتهم في السيطرة على المغرب الأقصى والأندلس بموافقة ساداتهم [1]. وعندما انهارت الخلافة في الأندلس في وقت اتحدت صنهاجة الجنوب، واشتد صراعها وبقي عليها أن تخف إلى الميدان، منتهزة هذه الفرصة للأخذ بذلك الثأر القديم، وانتزاع هذه الأراضي الخصبة، التي ظل الزناتيون يسيطرون عليها فترة طويلة. هذا إلى أن القبائل الزناتية في المغرب الأقصى كانت تسد مسالك البلاد، وتحاول أن تقاسم شعوب الملثمين رزقهم من تجارة المغرب والسودان، فكان على الملثمين إذا أرادوا أن تخلص هذه التجارة لهم كلها أن يناضلوا زناتة، وأن يخفوا إلى قتالهم.

وهناك عامل آخر لا يقل عن العامل السابق أثراً في إزكاء تيار الغزو، وهو الرغبة في تحقيق الدعوة، التي بثها عبد الله بن ياسين، منذ كان يريد أن يجند قبائل الملثمين في حركة لتطهير المجتمع الإسلامي كله، كان يريد أن تمتد صيحة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى المغرب والأندلس. ولعل هذا يفسر ما ذكره المؤرخون من استنجاد الفقهاء، واستضافتهم بالمرابطين [2].

فبعد أن انتهى جهادهم الأصغر بالصحراء لم يكن بد من أن يتطلعوا إلى جهاد أكبر بميدان المغرب والأندلس.

وهناك عامل ثالث اشترك مع العاملين السابقين في توجيه الملثمين صوب المغرب الأقصى، ذلك أن الصحراء أصبحت تضيق بجموع المرابطين، الذين كانوا

---

(1) أحمد بدر، المرجع السابق، ص206-207.

(2) حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص190.

يتزايدون يوماً بعد يوم، وكان لابد من أن يجد أولو الأمر لهم مجالاً حيوياً يتجهون إليه، بعد أن ضاقت في وجوههم سبل الرزق بالصحراء.

هذه إذن هي المعالم الرئيسية للعوامل الثلاثة التي ساعدت على توجيه فتح المرابطين للمغرب، والتي أزكت هذه الحملات المتعددة، التي شنها الملثمون حتى تهيأ لهم آخر الأمر أن يفتحوا هذه البلاد[1].

احتلال بوابات الصحراء:

كانت سجلماسة أشهر الواحات في شمال الصحراء، وبوابتها الرئيسية من ناحية المغرب وما يليه. وقد تجمعت فيها كل الدوافع لقيام المرابطين بالهجوم عليها في الوقت الذي قاموا به، فقد رأوا فيها، وهم في وضع المجاعة والبؤس الذي ذكرناه الخصب والغنى، لكن الرواية تغفل الأوضاع المحيطة هذه، وتجعل سبب الاستيلاء عليها رسالة من فقهائها للمرابطين بدعوتهم لتخليصها وتخليص سكانها من جور حكامها وتعسفهم. ولا ريب أن المرابطين بتطبيقهم للشرع وإسقاطهم للمغارم ولسائر الضرائب التي لا ينص عليها، قد اجتذبوا إليهم على الأقل طبقة الفقهاء في أكثر الأمكنة، كما أن قادتهم كما رأينا قبل ذلك، كانوا يرسلون قسماً من الغنائم لتوزع على الفقهاء، وفي ذلك ما فيه من دلالة على رغبتهم في نشر دعوتهم وتعاطف الفقهاء معهم، الأمر الذي لا يدع مجالاً للشك بصحة الرسالة للمرابطين الذين أضحوا على مقربة منهم. أما ما لا يمكن قبوله فهو أن يكون الرسالة هي العامل الحاسم في هجوم المرابطين على سجلماسة[2].

---

(1) حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص191.

(2) أحمد بدر، المرجع السابق، ص 207.

ومهما يكن من أمر فقد هاجم المرابطون سجلماسة ، وخرج لهم صاحبها مستخفاً بهم فقتل في المعركة التي جرت غبارها سنة 447هـ/1055م بعد هذا الانتصار على الأمير المغراوي دخل المرابطون سجلماسة فأزالوا المنكرات وطبقوا فيها مبادئهم وكان لاحتلالها نتائجه التي تتمتع ببعض الأهمية، فالمدينة بوابة تجارة الصحراء، وهذا ما يفسح مجالاً للمرابطين للإشراف عليها. كذلك كانت المدينة مركزاً لتأجير الجمال اللازمة لقطع الصحراء، لذا غنم المرابطون أعداداً كبيرة منها، وأسهمت هذه الغنيمة في تزويد المرابطين بإمكانيات تجهيز أعداد كبيرة من الجند لقطع الصحراء[1].

وهذا ما يفسر سرعتهم في احتلال بوابة الصحراء الثانية من الطرف الجنوبي وهي أودغست واستخلاصها من السودان مجدداً. ورغم كل ذلك لم تكن وحدة الحلف الصنهاجي متينة، إذ لم يمض إلا أقل من سنتين من احتلال سجلماسة حتى عاد المغراويون إليها، ورفضت جدالة عضوة الحلف التي كانت الرئاسة فيها قبل ذلك محاربتها من جديد، مما اضطر عبد الله بن ياسين ويحيى بن عمر للسير ضدها، وفي القتال الذي جرى معها قتل زعيمها يحيى بن عمر[2].

انطلاقة المرابطين إلى المغرب الأقصى:

تضاربت الروايات حول بدء تدفق المرابطين صوب المغرب الأقصى، والسبب في ذلك يرجع – على ما يبدو – إلى أن المؤرخين لم يدونوا أخبار هذه المرحلة الأولى إلا بعد أن تم قيام الدولة، وبرزت في عالم المغرب قوية مستقرة، كما أن النقود والنقوش التي يمكن أن يعتمد عليها لضبط هذه التواريخ لم يظهر إلا بعد أن

---

(1) أحمد بدر، المرجع السابق، ص207-208.

(2) أحمد بدر، المرجع السابق، ص208.

استقرت الدولة في أرض المغرب، وبدأت بعد أن تهيأت لها أسباب القوة والاستقرار لسك النقود وتشييد العمائر[1].

يرى فريق من المؤرخين أن بدء تدفق المرابطين نحو المغرب في سنة 450هـ، وفريق آخر يذكر أن زحف المرابطين على المغرب الأقصى بدأ قبل سنة 450هـ. أما رواية الفريق الأول فنستطيع أن نستبعدها، لأن أول نقود ظهرت للمرابطين ضربت بمدينة سجلماسة سنة 450هـ، ولا يعقل بالطبع أن يضرب المرابطون النقود في مدينة لم يتم لهم فتحها، فلابد إذن أن يكون المرابطون قد تحركوا صوب المغرب في تاريخ سابق لسنة 450هـ، تاريخ ظهور أول عملة مرابطية.

وقد ذكر ابن خلدون أن فتح المغرب [2] بدأ عام 445هـ، ولا يعقل أن يستغرق سير المرابطين من ديارهم بالجنوب صوب واحات المغرب الأقصى خمسة أعوام طوال، وإن كان بعض المؤرخين قد ذكروا أن إقليم الواحات الجنوبية، فتح مرتين، فتح مرة فاسترده الزناتيون ثم استعاده الملثمون من جديد. ويخيل إلينا أن النضال حول سجلماسة استمر مدة لا تزيد على ثلاث سنوات، وعلى ذلك تعتبر رواية صاحب البيان من هذه الناحية أقرب إلى التصديق، لأنه ذكر أن الحملة بدأت حوالي سنة 447هـ، أو بعد هذا بقليل[3].

خرج المرابطون الصحراء يقودهم زعيمهم الديني عبد الله بن ياسين، وقائدهم الحربي أبو بكر بن عمر اللمتوني. فاتجهوا أولاً إلى بلاد السوس واستولوا على

---

(1) حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص191.

(2) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 80 .

(3) حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص192.

قاعدتها تارودانت، وقضوا على الشيعة والوثنيين كما قاتلوا اليهود المنتشرين في تلك النواحي فأعادوا تلك المناطق إلى مذهب أهل السنة والجماعة.

ثم اتجهوا بعد ذلك إلى بلاد الحوز واستولوا على عاصمتها أغمات، وقد ترتب على هذا الفتح أن قتل أمير أغمات لقوت المغراوي، وتزوج الأمير أبو بكر بن عمر أرملته زينب النفراوية التي أشار المؤرخون بجمالها وذكائها.

وكان وصوله لأغمات سنة 450هـ فتلقته اشياخ المصامدة وأذعنوا له بالطاعة واحتل مدينة أغمات واستوطنها مع إمامه عبد الله بن ياسين ثم انصرف الشيخ ابن ياسين إلى بلاد تامسنا يسكنهم ويحضهم على الطاعة فقتله بربر غواطة[1].

وعبر المرابطون بعد ذلك جبال الأطلس، وقصدوا إلى بلاد المصامدة، وتوغلوا في جبال درن،وفتحوا وردة وشفشاوة ونفيس وسائر بلاد منطقة جرميوه وبايعتهم قبائل تلك الناحية، ثم ساروا إلى مدينة أغمات، وكانت يومئذ لمغراوة، وأميرها لقوط بن يوسف بن علي المغراوي، فضربوا حولها الحصار، ودافع لقوط عن مدينته أشد دفاع ولكنه لما رأى عبث المقاومة، فر منها في أهله وحشمه تحت جنح الظلام، والتجأ إلى حماية بني يفرن أمراء تادلا، دخل عبد الله بن ياسين وجنده المرابطون أغمات في سنة 449هـ وأقام بها شهرين حتى استراح جنده. ثم قصد إلى بلاد بني يفرن وهاجم قاعدتهم تادلا وافتتحوها وقتل من بها من بني يفرن، وظفر بلقوط المغراوي فقتله وكانت زوجه زينب بنت إسحاق النفراوي قد اشتهرت بجمالها ونبلها، فتزوجها الأمير أبو بكر بن عمر[2].

---

(1) أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص315-316.

(2) محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص305-306.

وقيل كان وصوله لأغمات في سنة 450هـ فتلقته أشياخ المصامدة وأذعنوا له بالطاعة، واحتل مدينة أغمات واستوطنها مع إمامه عبدالله بن ياسين ثم انصرف الشيخ ابن ياسين إلى بلاد تامسنا لمقاتلة قبائل برغواطة(1).

وكانت هذه القبائل تدين بمذهب تنافي تعاليمه الإباحية أحكام الإسلام أسسه رجل يهودي الأصل يدعى صالح بن طريف البرناطي نسبة إلى برناط وهو حصن من أعمال شذونة بالأندلس، ووفد على منطقة تامسنا منذ أوائل القرن الثاني من الهجرة ونشر مذهبه بين أهلها، وهم قوم تسودهم البداوة والجهالة المطلقة، فادعى النبوءة وأنه قد نزل عليه قرآن جديد، وزعم أنه المهدي الذي يخرج في آخر الزمان، جعل الصلوات خمساً في النهار وخمساً في الليل، والصوم في شهر رجب، وأباح الزواج بأي عدد من النساء إلى غير ذلك. وكثر عدد أنصاره بمضي الزمن حتى أصبحوا أمة كبيرة يطلق عليها برغواطة. وفي بعض الروايات أن برغواطة تنتمي إلى قبيلة زناتة الشهيرة، ويقول ابن خلدون إنهم من المصامدة من حيث الموطن والجوار، وهم قبائل شتى لا يجمعهم أصل واحد، وإنما هم أخلاط من البربر اجتمعوا إلى مذهب صالح بن طريق(2).

وكان من الطبيعي أن يتجه المرابطون إلى قتال هؤلاء الأقوام الكفرة الوثنيين. ومن ثم فقد سار عبد الله بن ياسين، وقائده أبو بكر اللمتوني في جموع المرابطين إلى أرض برغواطة، وكان الأمير عليهم يومئذ أبو حفص بن عبد الله بن أبي غفير بن محمد معاذ(3).

---

(1) ابن الخطيب ذي العزارتين محمد لسان الدين، الحلل الوشية في ذكر الأخبار المراكشية، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1399هـ-1979م، ص 12.

(2) محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص306.

(3) محمد عبد الله عنان، المرجع نفسه، ص307.

ويبدو من تحركات جيوش المرابطين، أن العمليات العسكرية الرئيسية التي قاموا بها قد دارت في الشمال والغرب بصفة خاصة. فبالقرب من مدينة الرباط الحالية في منطقة زعبر دارت معركة بين المرابطين والبرغواطيين استشهد فيها زعيم المرابطين عبد الله بن ياسين سنة 451هـ/ 1059م مات هذا الزعيم على الرغم من نصائحه ومبادئه التي كان يرددها دائماً من أن حياة الجيش تتوقف على حياة القائد، ويروي أنه غضب يوماً على الأمير يحيى بن عمر، وضربه بالسوط على رجله لأنه عرض حياته للخطر أثناء القتال وقال له: "إن الأمير لا يدخل القتال بنفسه لأن حياته حياة جنده وهلاكه هو هلاكهم". ولكن تشاء الأقدار أن يقع هو نفسه في هذا المحظور. ودفن عبد الله بن ياسين على ربوة قريبة من الرباط على وادي كريفلة أحد فروع وادي أبي الرقراق، ولا يزال قبره هناك في هذا المكان ويسميه أهالي تلي الناحية سيدي عبد الله مول الغارة[1].

آلت زعامة المرابطين الروحية والسياسية لأبي بكر بن عمر، بعد وفاة إمامهم عبد الله بن ياسين وكان هذا الرجل متحمساً للجهاد، فما أن انتهى من مراسم دفن الفقيه ابن ياسين حتى استأنف جهاده في حرب قبائل برغواطة المارقة، فقتل منهم أعداداً كبيرة، وفرق جموعهم في الصحراء، وقسم بين المرابطين غنائمهم، ثم دانوا بالطاعة له بعد أن جددوا إسلامهم. بعد ذلك قفل الأمير أبو بكر راجعاً، إلى مدينة أغمات التي كانت أول حاضرة للمرابطين بالمغرب[2]. وأقام بها حتى شهر صفر سنة 452هـ/ 1060م. ثم غادرها في قوات ضخمة من صنهاجة وجزولة، والمصامدة، وافتتح بلاد فازاز ومكانسة، وسائر أراضي زناتة، ثم سار إلى مدينة لواتة، وكانت

(1) أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص316.

(2) عبد الواحد شعيب، المرجع السابق، ص19-20.

بيد بني يفرن فاقتحمها عنوة وخربها وقتل بها خلقاً كثيراً، وذلك في شهر ربيع الثاني سنة 452هـ، وعاد يومئذ إلى أغمات.

ولبث أبو بكر في أغمات بضعة أشهر أخرى، وعندئذ وفد إليه رسول من بلاد القبلة قاعدتهم بالصحراء، ونبأه باختلاف المرابطين هناك، ووقوع الخلاف بين لمتونة ومسوفة، فخشي أبو بكر أن يتفاقم الأمر هناك بين القبائل الشقيقة وقد كانت الصحراء منبع أمرهم، فقرر أن يعود إلى قومه، ليجبر الصدع ويوحد الكلمة، فوكل شئون المغرب لابن عمه يوسف بن تاشفين، وتنازل له عن زوجته الحسناء زينب بنت إسحاق النفراوية، بعد أن طلقها حتى لا تشاطره خشونة الحياة الصحراوية، فتزوجها يوسف فيما بعد، وأمره بمتابعة قتال مغراوة وبني يفرن وزناتة، ووافق أشياخ المرابطين على هذا الاختيار، لما يعلمونه عن يوسف[1].

وقسمت القوات المرابطية إلى جيشين تولى يوسف إمرة أحدهما ليتم به إخضاع المغرب، وتولى أبو بكر إمرة الآخر. خرج أبو بكر في جيشه في شهر ذي القعدة سنة 453هـ/1061م واخترق بلاد تادلا وسجلماسة ثم سار جنوباً إلى الصحراء وهناك قام بإصلاح شئونها، والقضاء على أسباب الخلاف بين أقوامها وتوحيد كلمتهم، وسار في جيشه الضخم إلى بلاد السودان، فغزا الكثير من نواحيه، وتوغل في أراضيه إلى مسيرة ثلاثة أشهر. وفي تلك الأثناء كان يوسف بن تاشفين يؤدي مهمته العظيمة في افتتاح باقي أقطار المغرب[2].

(1) ابن خلدون، المصدر السابق، ص 244.

(2) محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص308-309.

ومدينة أغمات: مدينتان إحداهما تسمى أغمات وريكة والأخرى أغمات هيلانة، وبينهما نحو ثمانية أميال[1].

أقام يوسف بن تشافين بأطراف المغرب، في سنة 454، وعمد إلى تأسيس عاصمة للمرابطين بدلاً من أغمات لتكون مركزاً لقواته في جنوب المغرب، واختيار موقعها على ضفاف نهر تنسيفت، بين مدينتي أغمات ونفيس، حتى يتهيأ لها مراقبة المصامدة. ثم تحرك يوسف في سنة 455هـ ليستأنف فتوحاته بعد أن استعرض قواته، فكانوا أربعين ألفاً، عقدهم على أربعة من القواد وهم محمد بن تميم الجدالي، وعمر بن سليمان اللمتوني، وجزوالي التلكاتي، وسير بن أبي بكر اللمتوني، ثم زحف إلى أحواز فاس، وأبدى أميرها معنصر شجاعة عظيمة في مقاومة المرابطين، فصابرهم وانتصر عليهم في إحدى المواقع، ولكن يوسف تمكن من دخول فاس صلحاً في سنة 455م بعد أن فر عنها معنصر، وخلف يوسف عليها عامله، ثم مضى لمحاربة غمارة، وفتح كثيراً من حصونها وقلاعها، فانتهز معنصر فرصة قيامه بمحاصرة قلاع بلاد فازاز، ودخل مدينة فاس، وقتل عامل يوسف عليها ومن كان بها من المرابطين، ولما بلغ يوسف ذلك سير المهدي ابن يوسف الجزائي أمير مكناسة، وكان قد بايع يوسف بن تاشفين بالإمارة، إلى فاس، فهاجمه معنصر وقتله سنة 456هـ وكان يوسف وقتئذ مشغولاً بمحاصرة قلعة مهدي من بلاد فازاز ووجه بعض قواته لمحاصرة فاس [2]. أما هو فقد مضى يفتتح الحصون والمعاقل، فنازل بلاد بني مراسن ونزلاوة وورغة سنة 458هـ ثم مضى إلى بلاد غمارة سنة

---

(2) مجهول، نشره سعد زغلول عبد الحميد، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م، ص 207.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق، ص 205.

460هـ وكانت قواته المحاصرة لفاس قد قطعت عنها المرافق حتى اشتد الأمر على أهلها وقتل معنصر أثناء إحدى الاشتباكات سنة 460هـ فخلفه ابنه تميم[1].

وبينما كان يوسف بن تاشفين يحارب غمارة في الشمال، إذ بالزناتيين في فاس يتكتلون ضده ويقتلون حاميته ويستولون على المدينة، فاضطر يوسف أن يعود أدراجه وأن يقاتل الزناتيين وينتصر عليهم ثم يدخل فاس للمرة الثانية سنة 462هـ.

مما تقدم نرى أن المرابطين قد نجحوا إلى حد كبير في تحقيق رسالتهم، ولعل أبسط دليل على ذلك هو أن تلك المناطق التي كانت موطناً للمتنبئين وذوي العقائد الضعيفة، قد أصبحت في القرنين السادس والسابع أي في عهد المرابطين ثم في الموحدين بعدهم، من أشد المناطق تديناً. بل وإغراقاً في الزهد والتصوف[2].

وفي هذه الأثناء كان أبو بكر بن عمر قد وطد الأمن في الصحراء، وأزال الخلاف القائم بين قومه. ثم عاد إلى المغرب الأقصى لاستئناف فتوحاته. ولكنه وجد يوسف قد استبد عليه. ويذكر ابن الخطيب أن يوسف لما قابل أبا بكر بن عمر، "تلقاه راكباً لم ينزل له وعامله معاملة مختصرة واستظهر من جيوشه بما هاله عدده، وقال له ما تصنع بهذه الجيوش يا يوسف؟ فقال: استعين بها على من خالفني. وينظر إلى بعير موقورة خلفه فقال: وما هذه الإبل؟ فقال جئتك بها بكل ما عندي من مال وكساء وطعام لتستعين به على الصحراء. فعرف قصده في استمساكه بالأمر، وتورع عن هياجه، وقعد معه على الأرض، وقال له يا يوسف اتق الله في المسلمين، ولا تضيع شيئاً من أمورهم، فإنك مسؤول عنهم، والله خليفتي عليك وعليهم، ثم مضى إلى الصحراء في سنة 465هـ حيث استشهد في إحدى معاركه ببلاد السودان.

---

(1) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 613-614.

(2) أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص318-319

ولما دخل يوسف مدينة فاس حصنها وأتقنها، وأمر بهدم الأسوار التي كانت تفصل بين المدينتين، وردهما مصراً واحداً، وأدار عليها الأسوار، وأمر ببناء المساجد في أحوازها وأزقتها وشوارعها، فإذا اكتشف زقاقاً لم يقم فيه مسجد عاقب أهله. وبنى بفاس الحمامات والفنادق والأرحاء، وأصلح أسواق المدينة[1].

وقضى يوسف أعواماً أخرى في إتمام فتح المغرب حتى سيطر عليها على معظم نواحيه، ودوخ سائر قبائله. وفي سنة 470هـ/ 1077م نراه قد أشرف على طنجة، وانتزعها من صاحبها الحاجب سكوت(أوسواجات) البراغوطي وهو في نفس الوقت صاحب سبته، وكان سكوت من موالي بني حماد، وقد ولي حكم سبتة في أواخر أيامهم، ثم استولى على طنجة، وقوي آخر أمره في ذلك الركن المنعزل من المغرب، وأطاعته قبائل غماره، واستمرت ولايته زهاء عشرين عاماً، فلما زحفت الجيوش المرابطية إلى تلك الناحية، اعتزم سكوت الدفاع عن ملكه، فالتقى بالمرابطين في وادي منى علي مقربة من طنجة، وقاتل حتى قتل ومزق جيشه وسقطت طنجة في أيدي المرابطين، واعتصم ولده يحيى ابن سكوت بسبتة[2].

وفي سنة 474هـ زحف يوسف على المغرب الأوسط، واستولى على مدينة وجدة ثم استولى على تلمسان ووهران، واستمر في سيره المظفر حتى تونس فافتتحها واستولى بذلك على سائر شواطئ المغرب وثغوره الشمالية وقضى على سلطان سائر الأمراء المحليين الذين كانوا يقتسمون المدن والثغور يومئذ وشمل سلطانه جميع الأقطار المغربية، حتى تونس شرقاً وحتى المحيط الأطلنطي غرباً، ومن البحر المتوسط شمالاً حتى حدود السودان جنوباً.

---

(1) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص614-615.

(2) محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص312

وهكذا قامت الدولة المرابطية الكبرى، وأقامتها عبقرية رجل واحد وهو يوسف بن باشفين، بعد أن وضع أساسها الأولي الفقيه عبد الله بن ياسين[1].

ويظن الباحث أن الحركة التي بثها عبد الله بن ياسين كانت بمثابة طاقة عظيمة دفع بالمرابطين بالخروج إلى الصحراء واحتلال نوافذها التجارية والتي كانت بمثابة الجسر لدخول المرابطين إلى المغرب، بالإضافة إلى حكمة وشجاعة الأمير أبو بكر ابن عمر في تهدئة الخواطر ولم شمل المرابطين.

---

(1) محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص313.

المبحث الثاني

ظهور يوسف بن تاشفين

نسبه :

هو أبو يعقوب يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن تومرت بن ورتاقط بن منصور بن مصالة بن منصور من أمية بن وانصال من تليت اللمتوني الصنهاجي الحميري، وكان رجلاً ديناً خيراً حازماً, مجربا [1]. بويع بالخلافة بعد وفاة أبي بكر بن عمر، بعد أن اجمعت عليه طوائف المرابطين[2].

لم يغير حاله من لباس الصوف، وأكل الشعير والانتدام من الإبل عمره،مع ما فتح الله عليه من الدنيا، فقد خطب له في بلاد المغرب على نحو ألفي منبر، ولم ينعقد بايالته ما بين الأندلس والعدوة إلى جبال الذهب ببلاد السوان مكسب ولا قرر جور، وكان محباً للعلماء، مكرماً للصلحاء محافظاً على الدين مستشعراً للتقوى[3].

ولايته:

كانت رياسة المرابطين الزمنية، حينما أنشأ الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي، طائفة المرابطين في أول أمرها، لزميله يحيى بن إبراهيم الكدالي، ولما توفي ندب عبد الله بن ياسين مكانه للرياسة الأمير يحيى بن عمر اللمتوني ليتولى شئون الحرب والجهاد. وكانت هذه أول مرحلة في رياسة لمتونة الزمنية لطائفة المرابطين. ولما توفي الأمير يحيى في سنة 447هـ عين مكانه للقيادة أخوه أبو بكر بن عمر. ولما وضع المرابطون خططهم لافتتاح بلاد السوس في سنة 448هـ، ندب الأمير أبو بكر

---

(1) لسان الدين بن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، تحقيق أحمد مختار العبادي وآخرون، دار الكتاب الدار البيضاء، 1964م، ص 233- 234.

(2) النويري، المصدر السابق، ص 262.

(3) ابن الأثير، المصدر السابق، ص 137.

ابن عمه يوسف بن تاشفين ليكون قائداً لمقدمة الجيش المرابطي، وهذه هي أول مناسبة تاريخية، يذكر فيها اسم البطل المرابطي، ولم يكن له يومئذ من الرياسة سوى صفة القيادة لجناح من أجنحة الجيش المرابطي. ولما توفي عبد الله بن ياسين قتيلاً في بعض المعارك التي نشبت في أراضي برغواطة في سنة 451هـ / 1059م، استأثر الأمير أبو بكر اللمتوني بزعامة المرابطين الروحية والزمنية معاً، وتحققت بذلك رياسة لمتونة، وبدأت الدولة المرابطية اللمتونية وقوام سلطانها ما تم يومئذ من فتوح المغرب[1].

لما توجه الأمير أبو بكر بن عمر إلى الصحراء ولاه مكانه وترك معه الثلث من لمتونة أخوانه فاشتغل ببناء مراكش وتحصينها وحصل منها تحت سور وأبواب في قصر الحجرن وأعانه القبائل في جميع أموره وأحواله، وحبب نفسه إليهم، وأفاض إحسانه عليهم[2].

وكان يكاتب الأمير أبا بكر بكل ما يصنع، فيشكره على ذلك وأبو بكر بن عمر في الصحراء يحارب جدالة حتى أخذ ثأره منهم في خبر طويل. وتزوج يوسف بن تاشفين زينب النفزاوية والتي أخبرت يوسف بأنه يملك المغرب كله فبسطت آماله وأصلحت أحواله وأعطته الأموال الغزيرة، فأركب الرجال الكثيرة، وجمع له القبائل أموالاً عظيمة، فجند الأجناد وأخذ في جمع الجيوش من البربر والاحتشاد.. بنفسه وبتدبير زوجه زينب في كل يوم مع أمه، حتى سلك أهل المغرب في قانون الضغط فتأتي من ملكه ما لم يتأتي[3].

---

(1) محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص37.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق، ص21-22.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق، ص22

وهنا يتشح يوسف بن تاشفين بثوب الملك السياسي والإمارة الفعلية. وقد كان منذ ندب لقيادة الجيش المرابطي، وتوالت على يديه فتوح المغرب، يتشح بثوب الرياسة والإمارة القبلي، وهنا تختلف الرواية في أصل ألقابه الملوكية وأوضاعها. والتاريخ يعرف يوسف بن تاشفين بأمير المسلمين وناصر الدين"[1].

وكان يوسف بن تاشفين في بداية أمره يلقب بالأمير فلما فتح المغرب وترامت حدود مملكته، أراد بعض أشياخ المرابطين أن يحملوه على اتخاذ سمة الخلافة، فأبى واكتفى باتخاذ لقب أمير المسلمين، وناصر الدين، وأصدر مرسومه، بأن يدعى له بذلك اللقب، وذلك في سنة 466هـ[2].

ومنح يوسف نفسه لقب أمير المسلمين، وأعلن تبعيته للخليفة العباسي في بغداد، وطبع اسمه على السكة في عام 480هـ/ 1087م خلفاً للأمير أبو بكر.

كما عمل يوسف بن تاشفين على إصلاح الأحوال الاقتصادية، فأبطل الضرائب، وعين عمالاً على البلاد من ذوي السمعة الطيبة، الذين عملوا على نشر الأمن والعدالة في البلاد وعين لكل حاكم فقيهاً برتبة مستشار، حتى لا يحيد أحد عن الشريعة الإسلامية في أحكامه[3].

بعد أن تم للمرابطين سيادتهم على الصراع في جنوب المغرب الأقصى وبعد أن اتجهوا إلى الشمال وتم لهم النصر على الزناتيين وبسطوا سلطانهم عليهم وأصبح المرابطون سادة المغرب بعد صراع دام عشرين عاماً 447- 467هـ/ 1055-

(1) محمد عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ص 38.

(2) محمد عبد الله عنان، دول الطوائف، المرجع السابق، ص314.

(3) نجيب زبيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، ج2، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت- لبنان، ط1، ص 241.

1074م أخذوا على عاتقهم وعلى رأس زعيمهم يوسف بن تاشفين رفع راية التوحيد لنصرة المسلمين في الأندلس.

عمل يوسف على توحيد الجبهة الإسلامية وحشدها في صعيد واحد ليواجهوا الأعداء صفاً واحداً كالبنيان المرصوص[1].

فتح المغرب الأقصى الشمالي454هـ/ 477هـ:

قام يوسف بن تاشفين نحو المغرب الشمالي لينتزعه من أيدي الزناتيين واستخدم من أجل تحقيق هذا الهدف المنشود إرسال الجيوش للقضاء على جيوش المخالفين مستفيداً من الخلافات السياسية بين قادة المدن، مخالف بعضها من أجل قتال الباقي واستطاع أن يدخل مدينة فاس صلحاً عام 455هـ، ثم تمرد أهلها عليه إلا أنه استطاع إخماد جميع الثورات التي قامت ضد المرابطين بجهاده، وكفاحه المستمر، حتى تم له فتح جميع البلاد من الريف إلى طنجة عام 460هـ/ 1067م.

وأعاد فتح فاس عنوة بحصار ضربه عليها بجيش قوامه مائة ألف جندي عام 462هـ/1069م فقضى على شوكة مفراوة وبني يفرن وسائر زناتة، ونظم المساجد والفنادق وأصلح الأسواق، وخرج من فاس عام 463هـ إلى بلاد ملوية وفتحها واستولى على حصون وطاط من بلاد طنجة.

بعد هذه الانتصارات الناجحة استدعى شيوخ وأمراء المغرب من قبائل زناتة ومعمورة وغمارة، وأكرمهم وبذل لهم العطاء وأحسن إليهم، وبايعوه على الإمارة وخرج بهم يطوف في أقاليم المغرب يتابع الأمراء ويحاسب الولاة. وينشر العدل ويرفع المظالم[2].

---

(1) محمود السيد، تاريخ دولة المرابطين والموحدين, مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية, 2007م, ص27-28.

(2) السلاوي، المصدر السابق، ص 29.

وبعد أن رجع من تلك الجولة التفقدية الإصلاحية سار بجيوشه عام 465هـ/ 1072م لغزو الدمنة من بلاد طنجة وفتح جبل علودان، وفي عام 467هـ/1074م استولى على جبل غياثة وبني مكود وبني رهينة من أحواز تازا، وجعلها حداً فاصلاً بينه وبين زناتة الهاربة إلى الشرق، وأبعد عن المغرب كل من ظن فيه أنه من أهل العصيان. فأصبح خالصاً له مرتاحاً إلى طاعته مطمئناً إلى خلوده إلى السكينة والهدوء غير تواق للثورة عليه.

وأصبحت منطقة تازا ثغراً منيعاً بينه وبين زناتة، ولذلك اعتبر المؤرخون عام 467هـ فاصلاً في تاريخ الدولة المرابطية، إذ بسط يوسف نفوذه على سائر المغرب الأقصى الشمالي باستثناء طنجة وسبتة.[1]

وسير يوسف بن تاشفين إلى طنجة جيشاً من اثني عشر ألف فارس مرابطاً وعشرين ألفاً من سائر القبائل، وأسند قيادته إلى صالح بن عمران عام 470هـ، وعندما اقتربت جيوش المرابطين من طنجة برز إليهم الحاجب بن سكوت على رأس جيش وهو شيخ يناهز التسعين، وانتصر المرابطون وفتحوا طنجة وقتل في تلك المعارك الحاجب بن سكوت[2].

وقد وجه ابن تاشفين بعد ذلك جهوده لفتح بقية مدن وبلاد المغرب، فاستولى على فاس عام 462هـ، وكذا مكناسة، ومعظم بلاد المغرب الشرقي، حيث استولى على تازا عام 467هـ/1074م ثم على طنجة وسبتة، وفي سنة 472هـ/ 1079م سير جيشاً اخترق به المغرب الأوسط، وزحف شرقاً، فاستولى على "مليلية" ثم وجدة

---

(1) السلاوي، المصدر السابق، ص 30.

(2) علي محمد محمد الصلابي، المرجع السابق، ص62-63.

ثم تلمسان وبذلك فقد الزناتيون عاصمتهم هذه، كما أخضع مدينة وهران ووصلت جيوشه حتى مدينة الجزائر[1].

كان علي يوسف إذا أراد أن يمضي في مشروعاته الحربية أن يسد حاجة الجيش من الرجال. ولم تستطع القبائل الملثمة وحدها أن تضطلع بعبء القتال في هذه الميادين المتعددة، فاضطر يوسف إلى أن يوسع دائرة التجنيد بعض الشيء فاشتركت القبائل الأخرى، جند زناتة، ومن معمورة، ومن غمارة، وكان يطلق على هؤلاء المجندين اسم الحشم [2]. وكانت فرق الحشم تختلف عن الفرق المؤلفة من فرسان صنهاجة وقد اضطر يوسف أن يأخذ حرساً من السودان كما اشترى عبيداً من بلاد الروم. وأصبح الجيش لأول مرة يتألف من طوائف متعددة يؤلف بين قلوبها جميعاًحب يوسف واحترامه[3]. كما عمد يوسف إلى تنظيم الجيش الجديد تنظيماً دقيقاً فبعد أن كانت جموع القبائل الملثمة تتقدم إلى الميدان جبهة واحدة، أو كتلة متراصة، اضطر إلى توزيع المسئولية على القواد، فجعل الجيش فرقاً على رأس كل فرقة قائد من رجاله الذين يثق في إخلاصهم وصدق جهادهم. كما اتخذ البنود والطبول، وزاد عدد الجيش حتى بلغ – على ما تذهب إليه الرواية– مائة ألف جندي. إذا دقت الطبول سارت الجيوش المختلفة تحت أعلامها الخاصة لمقاتلة العدو، لذلك لا تعجب إذا غدت هذه الجيوش آلة في يد ذلك القائد يسخرها في مشروعاته الحربية، حتى حقق ما أراد من نصر وظفر[4].

---

(1) محمد كمال شباخة، الدويلات الإسلامية في المغرب، دار العالم العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1429هـ/ 2008م، ص 44.

(2) ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 14.

(3) ابن أبي زرع ، المصدر السابق، ص 96 .

(4) حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص227.

أضف إلى ذلك أن الفتوحات المرابطية كانت تتسع رقعتها بالتدريج، وكانت القبائل الملثمة تنتشر فوق رقعة المغرب كله، وتشتبك مع قبائله، تناصبها العداء وتقف لها بالمرصاد، وكانت ديار المرابطين بعيدة، ووسائل الاتصال بين القبائل الغازية وبين ديارها الأصلية عسيرة، فكان لابد ليوسف من أن يؤمن هذه القبائل الفاتحة عن نفسها، ويعمل على الإبقاء على البلاد المفتوحة بأي وسيلة.

وقد جمع يوسف بن تاشفين ثروة طائلة من الغنائم والأسلاب، ومن حصيلة الزكاة، والعشور، وقد استقل هذه الأموال في تأليف قلوب الزعماء الملثمين، فتوافدوا إليه طامعين في رفده وكرمه، كما عمد إلى توزيع الأراضي الخصبة على قبائل الملثمين القادمة من الجنوب، وولى رجالها الأعمال واستطاع بهذه السياسة أن يستميل الزعماء وأن يكسب ودهم، فمالوا إليه، ووقفوا إلى جانبه، وأصبحوا رهن إشارته، وطوع يمينه. كما اتخذ من ذوي قرباه ولاة على البلاد المفتوحة، فولى سير بن أبي بكر مدائن مكناسة وبلاد تكلالة، فازاز، وولى عمر بن سليمان مدينة فاس وأحوازها. وولى داؤد بن عائشة سجلماسة ودرعة. وولى ولده تميم مدينة أغمات ومراكش، وبلاد السوس وسائر بلاد المصامدة، وبلاد تادلة وتامسنا، وقد عمد يوسف إلى مهادنة القبائل المغلوبة على أمرها[1] وهكذا فقد توج توحيد المغرب في إطار حركة المرابطين التي تحولت إلي دولة بقيادة يوسف بن تاشفين(2).

كانت هذه السياسة الحكيمة ذات آثار اقتصادية وسياسية بعيدة المدى فقد انصرف الناس إلى الإنتاج، فزادت الأموال، ونشطت الصناعة والتجارة والزراعة،

---

(1) حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص229.

(2) عبد المحسن طه رمضان، تاريخ المغرب والأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة, دار الفكر, عمان، ط 1، ص 392.

كما أنه استطاع بعد أن تألفت قلوب أهل المغرب كله أن يجندهم للجهاد في الأندلس فلبوا نداءه طائعين. ولم ينس يوسف أن يمضي في السياسة الإصلاحية التي رسمها عبد الله بن ياسين، كان يتفقد أحوال الرعية وينظر في أمر الولايات، ويرد المظالم ويحكم بين الناس بالعدل، وقد تكللت هذه السياسة بالنجاح وآتت أكلها فقد أصبح المغرب طوع يمينه ورهن إشارته[1].

ويعتقد الباحث أن يوسف بن تاشفين هو الذي مكن دولة المرابطين بفضل جهوده المتواصلة وتنظيمه الحربي الدقيق وقراءته الجيدة لمجريات الأمور وسرعة التحول من موقع إلى آخر.

---

(1) حسن أحمد محمود، المرجع السابق،ص 230

المبحث الثالث

تاسيس مراكش

يذكر علماء التاريخ أن الأمير أبا بكر بن عمر بن إبراهيم بن تورقين اللمتوني لما خرج في الصحراء باللمتونيين واحتلوا أغمات وريكة وكثر الخلق بها وضيقوا على أهلها شكى إليه أشياخ وريكة وهيلانة ما يلحقهم من العناء والمشقة فقال لهم عينوا لنا موضعاً نبني فيه مدينة، فاجتمعوا على أن يكون بناؤها بين بلاد هيلانة وبين هزميرة، فعرفوا بذلك الأمير أبا بكر بن عمر وقالوا له قد نظرنا لك أيها الأمير موضعاً صحراء رحب الساحة واسع الفناء يليق بمقصدك وقالوا يكون نقيس جنانها، وبلاد دكالة فرانها وزمام جبل درنة بيد أميرها فعند ذلك ركب الأمير أبو بكر ومعه قومه اللمتون وأشياخ المصامدة ووجوه الناس وصاروا معه إلى محصن مراكش * وهو خلاء لا أنيس به إلا الغزلان والنعام ولا نبت إلا السدر والحنظل، وكان ذلك سنة 402هــ، فانتقل إلى تلك الرحبة وشرع الناس في بناء الدور بالطين والطوب والطوابي[1]. فبينما الأمير أبو بكر بن عمر قد نزل بها وأخذ في بناء الديار إذ وفد عليه رسول من قبيلة لمتونة بالصحراء يعلمونه أن جدالة غارت عليهم، وكانت بينهم فتنة دائمة فاستخلف ابن عمه يوسف بن تاشفين على المغرب، ودخل إلى الصحراء لاصراخهم والأخذ بثأرهم من عدوهم[2].

هذه الرواية السابقة أوردها كل من صاحب الحلل الوشية، وابن عزارى، وهي تنص على أن تأسيس مراكش قد تم على يد الأمير أبي بكر بن عمر في سنة 462هــ/ 1070م، وهناك رواية أخرى أوردها صاحب كتاب روض القرطاس،

(*) مراكش : معني مراكش بالبربرية أسرع المشي، لأنها كانت موضع مخافة.(ابن عبد الحق- عبد المؤمن بن عبد الحق، مراصد الأطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج3، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412ه، ص 1251.)

(1) الحميري، المصدر السابق، ص 54.

(2) ابن الخطيب، المرجع السابق، ص5-6.

ونقلها عنه ابن خلدون، والسلاوي، وهي لا تنسب تأسيس مدينة مراكش إلى أبي بكر بن عمر وإنما تنسبها إلى ابن عمه يوسف بن تاشفين وتحدد تاريخ البناء في سنة 454هـ/ 1061م[1].

يقول صاحب روض القرطاس: "ودخلت سنة 454هـ، فبها تقوى أمر يوسف بن تاشفين بالمغرب وكبر صيته وفيها اشترى موضع تأسيس مدينة مراكش ممن كان يملكه من المصامدة فسكن الموقع بخيام الشعر، وبنى فيه مسجداً للصلاة وقبة صغيرة لاختزان أمواله وسلاحه، ولم يبن على ذلك سوراً، وكان لما شرع في بناء المسجد يحتزم ويعمل في الطين والبناء بيده مع الخدمة تواضعاً منه، والذي بناه يوسف من ذلك هو الموضع المعروف الآن بسور الحجر من مدينة مراكش[2].

وقال أبو الخطاب بن دحية في كتاب النبراس: "إن موضع مدينة مراكش كان مزرعة لأهل النفيس فاشتراه يوسف بماله الذي خرج به من الصحراء". وفي كتاب المعرب: "إن يوسف بن تاشفين اختط مدينة مراكش بموضع كان يسمى بذلك الاسم، ومعناه بلغة المصامدة أمش مسرعاً- وكان ذلك الموضع مكمناً للصوص فكان المارون فيه يقولون لرفقائهم تلك الكلمة فعرف ذلك الموضع بها، ويذكر المراكشي :(وإنما سميت بعبد أسود كان يستوطنها يخيف الطريق، أسمه مراكش) [3]. ويقال كان في موضعها قرية صغيرة في غابة من الشجر بها قوم من البربر فاختطها يوسف وبنى بها القصور والمساكن الأنيقة. وهي في مرج فسيح وحولها جبال على

---

(1) أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص321-322.

(2) ابن أبي زرع، المرجع السابق، ص138.

(3) المراكشي (عبد الواحد بن علي التميمي)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ج1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2006م، ص 72.

فراسخ منها، وبالقرب منها جبل لا يزال عليه الثلج وهو الذي يعدل مزاجها وحرها[1].

ولا شك أن الرواية الاولى- وهي رواية ابن عزارى وصاحب الحلل الوشية- هي الأصح لأنها تمثل من الروايات التي أوردها، مستمدة من أوثق المصادر المعاصرة للمرابطين، على عكس رواية صاحب القرطاس الذي انتقده المؤرخون القدامى والمحدثين واتهامه بالكذب والاختلاف"[2].

ولعل مما يفند روايته بصدد تأسيس مدينة مراكش أن المؤرخ والجغرافي الأندلسي المعاصر ابن عبد الله البكري الذي تعرض في كتابه لأحداث قيام دولة المرابطين حتى سنة 460هـ/ 1067م، وهي السنة التي أتم فيها كتابه، لم يذكر شيئاً عن مدينة مراكش أو عن يوسف بن تاشفين. ووصف البكري يعتبر تأييداً لرواية كل من ابن عزارى والحلل الوشية التي تقول إن بناء مراكش لم يبدأ إلا في سنة 462هـ، أي بعد أن فرغ البكري من كتابه بسنتين، فلو أن رواية القرطاس صحيحة والتي تقول إن بناء مراكش كان سنة 454هـ على يد يوسف بن تاشفين، لما فات البكري أن يشير إلى ذلك. كل ما أورده البكري في هذا الصدد لا يعدو تلك العبارة المختصرة: وأمير المرابطين إلى اليوم، وذلك سنة 460هـ، أبو بكر بن عمر[3].

اتخذ المرابطون مراكش عاصمة لهم وأطلقوا عليها أسم (جوهرة الجنوب)[4]. في موقع متوسط بين شمال المغرب وجنوبه، يضاف إلى ذلك تحكمها في بلاد

(1) السلاوي ، المصدر السابق. ص 24.

(2) أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص322.

(3) أحمد مختار العبادي، المرجع نفسه ، ص323.

(4) محمد رفعت، المغرب كما رأيته، د.ن، الرباط، 1963م، ص 99.

المصامدة الذين هم أشد قبائل المغرب قوة وأكثرهم عدداً، بيد أن هذه المدينة لم يستكمل بناؤها إلا في عهد علي بن يوسف والموحدين من بعده[1].

وكانت مراكش في أرض صحراوية منخفضة، فحفر لها يوسف الآبار وجلب إليها المياه، ولم يكن يحيط بمراكش من الجبال سوى جبل صغير كانت تقطع منه الأحجار التي بنى علي بن يوسف بها قصره، أما عامة بناء مراكش فكان من الطوب والطين[2].

ولم تزل مدينة مراكش لا سور لها إلى أن توفي يوسف بن تاشفين، وولي بعده ابنه علي بن يوسف، فأدار عليها السور سنة 526هـ، يقال كان ذلك بإشارة القاضي أبي الوليد محمد بن رشد الفقيه المشهور. فإنه كان قد قدم على السلطان بمراكش فأشار عليه بذلك عندما نبغ محمد بن تومرت مهدي الموحدين بجبال المصامدة. وكانت مدة البناء ثمانية أشهر، وكان الإنفاق على السور سبعين ألف دينار وبنى علي بن يوسف أيضاً الجامع الأعظم المنسوب إليه اليوم والمنار الذي عليه وأنفق عليه ستين ألف دينار أخرى [3]،وكان لهذا السور عدة أبواب منها أبواب أغمات ودكالة والدباغين وبينتان والصالحة والشريعة والمخزن، وظلت مراكش معسكراً حربياً، وقاعدة عسكرية لقوات المرابطين إلى أن حاصرتها قوات الموحدين بقيادة عبد المؤمن بن علي في المحرم سنة 541هـ، فنزل بجبل بقربها يسميه صاحب الحلل الموشية، وصبحه الاسم جبل ايلكيز وفقاً لما ذكره البيزق أو جبل الجليز [4]على حد ما ذكره صاحب الحلل الموشية في موضع آخر. وهناك ضرب عبد المؤمن القبة

---

(1) عبد الله أحمد شعيب، المرجع السابق، ص22.

(2) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص618.

(3) الناصري، المرجع السابق، ص25.

(4) البيذق ، المصدر السابق ، ص 20 .

الحمراء[1]. ويذكر صاحب الحلل الوشية: "ولما كان في محرم سنة 541هـ توجه عبد المؤمن إلى حاضرة مراكش مقر خلافة المرابطين ووصل بجيوشه إليها نزل بجبل يقربها يعرف بالجبل الجبلين وهو جبل صغير بنى عليه مدينة استند إليها وبنى فيها مسجداً وصومعة طويلة يشرف منها على مراكش ولما أكمل المدينة بالبناء ونزلت كل قبيلة في الموضع الذي حدده لها زحفوا بجمعهم لمراكش وقد كان كمن لهم الكمائن وأقام هو بالمنظرة يصبر أحوالهم فانهزم لهم الموحدون يجرونهم إلى الكماين ولما وصلوا إلى مقربة المدينة التي بناها عبد المؤمن بالجبل المذكور، علم عبد المؤمن بأن أكثر أهل مراكش من الفرسان والرجال خرجوا وأمر بضرب الطبول وخرجت الكمائن فمات في ذلك اليوم من أهل مراكش ما لا يحصى [2]. واتبع الموحدون فلول المرابطين بالسيف إلى الأبواب، وأحكموا عليهم الحصار غير أن البيزق الذي حضر دخول الموحدين مراكش يذكر أن القتال بين المرابطين والموحدين استمر أربعة أيام، كان يخرج فيها من المرابطين الأمير إسحاق بن بينتات، ومحمد بن حواء، ومحمد بن يانكالا، وفي اليوم الخامس تمكن الموحدون من هزيمتهم، واتبعوهم بالسيوف حتى باب الشريعة وهناك قتلوا عدداً هائلاً[3].

وطال الحصار على أهل مراكش، واشتد الجهد بهم، ولكثرة خيلهم ورجلهم نفذ طعامهم، وفنيت مخازنهم، حتى أكلوا دوابهم، ومات منهم بالجوع ما ينيف على مائة وعشرين ألفاً، ويذكر ابن خلدون أن الحصار استمر سبعة أشهر، فلما طال على أهل المدينة، وجهدهم الجوع، برزوا إلى مدافعة الموحدين، فانهزموا وتتبعهم الموحدون

---

(1) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص619.

(2) ابن الخطيب، المرجع السابق، ص102-103.

(3) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص619.

بالقتل"[1]. وفي 8 شوال سنة 541هـ دخل جيش الروم الذين كانوا بداخلها يد عبد المؤمن واستأمنوه فأمنهم واتفقوا معه على أن يدخلوه من الباب المعروف بباب أغمات، وأمر عبد المؤمن بعمل السلالم للسور قسمها على القبائل احدقوا بالمدينة فدخلت هنتانة من جهة باب دكالة ودخلت صنهاجة وعبيد المخزن من باب الدباغين ودخل هسكورة وغيرها من جهة باب بيتان [2]. فافتتحت مراكش ودخلها الموحدون بالسيف، ودار القتال وامتنع الأمير إسحاق بن علي وجملة قادته بداخل القصبة المعروفة بقصر الحجر وكان قصراً حصيناً. ودار القتال حول القصر حتى الزوال، ولم يتمكن الموحدون من دخوله، إلا بعد أن مات فانو بنت عمر بن بينتان، وكانت تقاتل في زي الرجال، واستسلم الأمير وجملة من الأمراء، فنقلهم الموحدون إلى جبل الجليز حيث قتلهم أبو الحسن بن واكاك.

وبقيت مراكش بعد أن دخلها الموحدون لا يدخلها داخل ولا يخرج منها خارج ثلاثة أيام، فقد أبى الموحدون دخولها لأن المهدي كان يقول لهم لا تدخلوها حتى تطهروها، فسأل الموحدون فقهاءهم عن ذلك، فأخبروهم بأن محاريب مساجدها تميل إلى الشرق، وهي في ذلك تنحرف عن القبلة الصحيحة، والتشريق والتحريف غير جائز في الإسلام، ولابد من تطهير هذه المساجد بهدمها وبناء مساجد أخرى، فهدمت جوامع مراكش لذلك السبب[3]. وهدم جامع علي بن يوسف ولم يهدموه كله بل هدموا بعضه، وأرسل الأمناء إلى المدينة مع الوزير [4]. ونزل عبد المؤمن مراكش، واتخذها عاصمة لدولته، وأقام بها المنشآت العظيمة، وأمهروها بمختلف أنواع المباني، ومن

---

(1) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص620.

(2) ابن الخطيب، المرجع السابق، ص103-104.

(3) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص620.

(4) البيذق ،المصدر السابق، ص 65.

هؤلاء المنصور الموحدي الذي كان مولعاً بفن البناء، فبنى بمراكش بيمارستاناً من أعظم ما أقيم في العالم الإسلامي سمى بدار الفرج، وكان يقع إلى الشرق من المسجد الجامع المعروف بالكتبية، وكان قد تخير لبنائه مساحة فسيحة من أجمل مواضع مراكش، وزين بالنقوش البديعة والزخارف وأمر الخليفة بأن يغرس فيها من جميع أشجار الفاكهة، وأجرى فيه مياها كانت تصل إلى جميع غرفه.

كذلك اهتم المنصور ببناء قصبة مراكش، وجامعها إزاءها، وصومعته، كما اهتم بإتمام بناء منار جامع الكتيب المشهور، وذلك بعد انتصاره في الأرك. ولقد ازدهرت مراكش في عصر الموحدين ازدهاراً لم تشهده من قبل في عصر المرابطين، فاتسع عمرانها، وزادت مرافقها، وعمرت بمختلف أنواع الأبنية والمنشآت التي تصمم خلفاء الموحدين بأقامتها[1].

ومدينة مراكش اليوم من أعظم مدن الدنيا بهجة، وجمالاً. بما زاد فيها الخليفة الإمام وخليفته أمير المؤمنين أبو يعقوب وخليفتهما أبو يوسف، فإن الخليفة بنى فيها جامعاً عظيماً، ثم زاد فيه مثله أو أكثر في قبلته، بغرب المدينة قيل تقيس دورها 6 أميال، وبنى فيها وخارجها صهريجين، وجلب التجار إلى قيسارية عظيمة لم يبق في مدن الأرض أعظم منها، وأمر بعمارتها أول سنة 585هـ/ 1189م. ومدينة مراكش أكثر بلاد المغرب جنات وبساتين وأعناب وفواكه وجميع الثمرات، وكان قبل ذلك يطير الطائر حولها فيسقط من العطش والرمضاء، وأكثر شجرها الزيتون ففي مراكش اليوم من الزيتون والزيت ما تستغني به عن غيرها من البلاد وتميز بلاداً

---

(1) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص622.

كثيرة، وكان زيتها قبل اليوم دهن المرجان، لأنه بتلك البلاد كثير جداً، وزيتون مراكش أكثر من زيتون مكناسة وزيتها أرخص وربما أطيب[1].

وظلت مراكش عاصمة للموحدين حتى أيام الواثق بالله أبي العلاء إدريس المعروف بأبي دبوس، فقد تحالف أبو دبوس مع بني مرين ليتولى نظير تخليه لهم عن مدينة مراكش. وكان المرتضي غافلاً عن شأن أبي دبوس، وكانت الأسوار خالية من حراسها، وحاميتها، فانتهز أبو دبوس الفرصة، وتسور مراكش من باب اغمات ودخلها، وقصد القصبة، فدخلها من باب الطبول، ففر المرتضي من مراكش إلى أزمور حيث مات قتيلاً في سنة 665هـ،ولكن أبا دبوس نكث بعهده لبني مرين، فاضطر الأمير أبو يوسف يعقوب المريني إلى مهاجمة مراكش في سنة 668هـ، وانتهى الأمر بمقتل أبي دبوس أمام أسوار مراكش التي دخلها جيش بني مرين في 2 محرم سنة 668هـ[2].ولقد تأثر عمران مراكش بالفتن المتواصلة التي اشتعلت نيرانها في أواخر أيام الموحدين، واستولى الهدم والخراب معظم ديارهم بمراكش عند سقوط دولتهم ويذكر الوزير أبو الحسن بن سعيد العنسي أنه وجد على بعض قصورها مكتوباً بالفحم:

"ولقد مررت على رسوم ديارهم ** فبكيتها والربع قاع صفصف

وذكرت مجرى الجور في عرصاتهم** فعلمت أن الدهر فيهم منصف

قال فتناولت بياضاً من بقايا جيار وكتبت تحته:

لهفي عليهم بعدهم بمثالهم ** بالله قل لي في الورى هل يخلف

من ذا يجيب منادياً لوسيلة ** أم من يجير من الزمان وينصف[3]

---

(1)المرجع نفسه، ص623.

(2) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص624-625.

(3) ابن الخطيب، المرجع السابق، ص128.

ولقد ضعف شأن مراكش في عصر بني مرين، لاتخاذهم مدينة فاس حاضرة لهم.

ثم استعادت مراكش مكانتها في عصر الأشراف السعديين كعاصمة للبلاد وخاصة في عصر السلطان أحمد بن محمد السعدي الملقب بالمنصور الذهبي، الذي أصهرها بأروع الأبنية، وجلب لها الرخام من إيطاليا، وشرع في بناء قصره المعروف بالبديع داخل قصبة السعديين وكان قصراً مربع الشكل في كل جهة منه قبة.كان تأسيس مراكش تدعيماً لمراكز المرابطين في المغرب، ثم كان استيلاؤهم على مدينة فاس في سنة 462هـ سبباً في اختلاطهم بالحضارة الأندلسية المغربية، ونجح يوسف بن تاشفين في إخضاع قبيلتي مكناسة ولواتة، واستولى على أكثر بلاد المغرب الغربي، ثم وجه ابن تاشفين جهوده بعد ذلك إلى ناحية الشمال الشرقي، ففي سنة 463هـ زحف إلى وادي ملوية، فافتتح بلادها، وعلى حصون وطاطا من نواحيها، وأخضع قبيلة غمارة، وافتتح حصن علودان، وفي سنة 467هـ وجه همه إلى إخضاع غيانة وبني مكوت، وافتتح تازي، وقسم يوسف بن تاشفين المغرب بين أبنائه وذويه وشيوخ قومه وأمرائهم، ثم تطلع بعد ذلك إلى معبري الأندلس طنجة وسبتة، وكان يحكمها سكوت البرغواطي، فاشتبك المرابطون بقيادة صالح بن عمر مع سكوت في مظاهر طنجة، فانهزم سكوت وقتل في المعركة، وتحصن ابنه ضياء الدولة بسبتة، ويبدو أن المعتمد بن عباد أرسل لسفارة برئاسة أبي بكر بن القصيرة إلى يوسف لينجده على الفونسو السادس، وأبدى يوسف استعداده لذلك، إذ تهيأ له الاستيلاء على معبري الأندلس، طنجة وسبتة[1].

وهكذا يمكن القول إن الأمير أبا بكر بن عمر توفي بعد أن أرسى قواعد دولته، إذ قطع المرابطون في عهد عدة مراحل في التوسع ناحية الشمال، كما أنه وضع لهم حجر الأساس في بناء حاضرتهم مراكش، هذا فضلاً عن الجهود التي بذلها في نشر

---

(1) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص626-628.

الدين الإسلامي في بلاد السودان الغربي. كما يرجع إليه الفضل أيضاً في إبراز شخصية يوسف بن تاشفين الذي خلفه على المغرب بعد أن أدرك مواهبه فكان عند حسن ظنه، إذ امتدت دولة المرابطين في عهده من مدينة الجزائر شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً، بل قام بتوحيد الأندلس وضمها إلى المغرب عندما استصرخه ملوك الطوائف[1].

---

(1) عبد الواحد شعيب، المرجع السابق، ص23.

الخاتمة

تتبعنا خلال هذه الدراسة كيف قامت دولة المرابطين ووصلت إلى قمم المجد وحققت انتصارات عظيمة في عهدها الأول. ولكن سرعان ما تدهورت هذه الدولة وذلك لظهور روح الدعة والانغماس في الملذات والشهوات عند حكام المرابطين وأمرائهم في أواخر عصر علي بن يوسف، وكان للمجتمع الأندلسي تأثير لا ينكر في قادة و أمراء وحكام دولة المرابطين الذين استجابوا لنزواتهم وشهواتهم وانغمسوا في الحياة الدنيا. كما كان ظهور السفور والاختلاط بين النساء والرجال، وبدأت دولة المرابطين في آخر عهد الأمير علي بن يوسف تفقد طهرها وصفاءها الذي أتصف به جيلهم الأول، مما جعل الرعية المسلمة تتذمر من هذا الانحراف والفساد، وتستجيب لدعوة محمد بن تومرت الذي أظهر نفسه للناس بالزاهد والناسك والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر.

أيضاً نجد انحراف نظام الحكم عن نظام الشورى إلي الوراثي الذي سبب نزاعاً عنيفاً علي منصب ولاية العهد بين أولاد علي بن يوسف، كما تطلع مجموعة من الأمراء إلي منصب الأمير علي بن يوسف ونازعوه في سلطانه مما سبب تمزقاً داخلياً، ففقدت الدولة المرابطية وحدتها الأولي، وكثرت الجيوب الداخلية في كيان الدولة، كل هذه الأمور ساهمت في إضعاف الوحدة السياسية وإسقاط هيبة الدولة المرابطية .

كذلك الضعف الفكري الذي أصاب فقهاء المرابطين وحجرهم علي أفكار الناس، ومحاولة إلزامهم بفروع مذهب الإمام مالك وحده ، وعملوا علي منع بقية المذاهب السنية تعصباً لمذهبهم، وكان التعصب الأعمى لفقهاء المرابطين السبب الأول في سقوط دولتهم. بالإضافة إلي فقدان الدولة لكثير من قياداتها وعلمائها العظام أمثال سير بن أبي بكر، ومحمد بن فاطمة ...الخ، كما مرت الدولة بأزمة اقتصادية حادة، نتيجة لانحباس المطر عدة سنوات، وحلول الجفاف والقحط

بالأندلس والمغرب، ومن اسباب سقوط هذه الدولة الصدام المسلح مع جيوش الموحدين .

كل هذه الأسباب مجتمعة أدت إلي سقوط دولة المرابطين التي جاهدت وكافحت من أجل نشر الإسلام في السودان الغربي .

أولاً: النتائج:

1. نجاح المرابطين في القضاء علي حركات متطرفة وهدامة،انتسب بعضها إلىالإسلام، ودعموا قواعد المذهب المالكي، بحيث صار هذا المذهب هو مذهب سكان المغرب الأقصى جميعهم، وسكان الصحراء.
2. امتداد السلام وتعميقه في نفوس المغاربة، كان خطوة هامة وأساسية في تعريب المغرب الذي كان بعيداً عن ذاك عن العروبة، ولم تعد اللغة العربية في هذه الأصقاع، ولم تلبث أن صارت اللغة الأمأو اللغة التوأم للغات المحلية، وبعد أن كان يوسف ابن تاشفين يفهم اللغة العربية بصعوبة صار ولده وبعض أهل دولته علي علم واسع بها.
3. قيام المرابطين بالدور الاوفي في الجهاد بالأندلس،وتأخير ضياعها بعد أن تمزقت إلى عشرين دولة أو نحوها من دول الطوائف واحرق بها النصار ى من كل وجه،وأصبحت مدنها تتساقط تباعاً في أيديهم وقد هلك في هذا الجهاد بعض من قادة المرابطين وأبناء يوسف بن تاشفين، وإذا كان المرابطون قد خسرو معركة عبر البحر، فهم ربحوا معارك أخرى .
4. أستمر الإمام عبدالله بن ياسين الجزولي يقود معارك التوحيد للمغرب الأقصي من أجل إقامة دولة سنية ، واستشهد في تلك المعارك بعد أن ترك خلفه رجالاً آمنوا بسمو دعوتهم وقدسية فكرتهم وروعة أهدافهم .

5. كانت أول الدول الجامعة بالمغرب الأقصى، الذي كان يشكل مع صحرا ئه وشطر المغرب الأوسط نحو نصف مسافة المغرب الكبير ، ونجحو ا في توحيد بلاد المغرب الأقصى .
6. كانت مرحلة التعريف التي نفذها الإمام عبد الله ياسين في قبائل جزولة ولمتونة وغيرها من أصعب المراحل، وكادت تؤدي بحياته واستطاع أن يحارب مظاهر الشرك والجهل في مجتمع صنهاجة الصحراوية .
7. اصبح فقهاء المغرب الأقصىو الأحرار المتطلعون لتحكيم شرع الله في مدنهم يتصلون بالمرابطين ، ويطلبون منهم مساعدتهم لإزالة الظلم الواقع عليهم من حكام زناته ، وبالفعل لبى المرابطون هذا النداء ء، وتحركت جيوشهم وقضوا علي دولة برغواطة الملحدة ، وعلي بقايا الروافض، وأصبحت جبهاتها متعددة نحو السنغال والنيجر ونحو فاس ومكناسة وطنجة ، وحققوا انتصارات رفيعة ودخلت أمم من الزنوج والوثنيين الإسلام .
8. استجاب الأمير يوسف لدعوة إخوانه في العقيدة ، وعرض الأمر علىأهل مشورته، وحرك كتائب المرابطين بفرسانها وجنودها الأبطال وعبر المضيق ، وقاد الأمير يوسف كتائب المسلمين في الأندلس ، ووضع مع أركان جيشه خطة محكمة للقضاء علي جيش الفونسو النصراني ، وسطر المرابطون في تاريخ امتنا ملاحم العقيدة والفداء في معركة الزلاقة .
9. كانت نظرة دولة المرابطين إلى الخلافة الإسلامية العباسية في بغداد صائبة صحيحة ، لكونها منبثقة من منهج أهل السنة والجماعة ، ولذلك بايعوا الخليفة العباسي ، ورفعوا إعلامه وشعاره ، ودعوا له في منابرهم .

10. الحضارة الإسلامية في زمن دولة المرابطين امتزجت بالعناصر الإفريقية والعربية والاندلسية ، مما جعلها متميزة في كثير من جوانبها الحضارية .

11. تركت دولة المرابطين التي لم يصل عمرها إلىمائة عام ، وهي فترة قصيرة في عمر الدول، آثاراً واضحة جلية في جميع المجالات، إن تلك المآثر الحضارية تعدت حدود دولة المرابطين إلىأرجاءأخرى من العالم الإسلامي .

12. إن ظهور دولة الموحدين وانقضاضها علي دولة المرابطين تسبب في ضعف النواحي الحضارية والثقافية والسياسية عن المغاربة ، عموماً ، فتحت مجالاً لملوك النصار ى للقضاء علي الإسلام في الأندلس فيما بعد .

قائمة المصادر والمراجع

القران الكريم

أولاً المصادر :

1- ابن أبي دينار (أبي عبد الله محمد بن القاسم)، المؤنس في أخبار افريقيا وتونس، تحقيق : محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس .
2- ابن أبي زرع (علي بن أبي زرع الفاسي)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م .
3- ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم)، الكامل في التاريخ، ج 8، تحقيق : عمر عبد السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1997م .
4- ابن الخطيب (محمد لسان الدين)، تاريخ المغرب في العصر الوسيط، تحقيق : 5- أحمد مختار وآخرون، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1985م .
6- ابن الخطيب (محمد لسان الدين)، الحلل الوشية في ذكر الأخبار المراكشية، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1979م .
7- ابن الوردي (عمر بن مظفر بن عمر)، تاريخ بن الوردي، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996م .
8- ابن حوقل (أبو القاسم محمد)، صورة الأرض، ج 1، دار صادر أفست ليدن بيروت، ط1، 1938م .
9- ابن خلدون (عبد الرحمن محمد بن خلدون)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، الجزء السادس، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط4، 2000م .
10- ابن عبد الحق (عبد المؤمن بن عبد الحق)، مرصد الإطلاع علي أسماء الأمكنة والبقاع، ج3، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ .

11- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 4، دار الثقافة، بيروت -لبنان، 1967م .
12- ابن قتيبية (أبومحمد عبد الله بن مسلم)، المعارف، تحقيق : ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1992م .
13- أبو الفداء(عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود)، تاريخ أبو الفداء، ج 2، الطبعة الحسينية المصرية، ط1 .
14- أبو الطاهر (إبراهيم بن عبد الصمد)، التنبيه علي مبادئ التوجيه، ج 1، تحقيق : محمد بلحسان، داربن حزم، بيروت، ط1، 2007م .
15- الأدريسي (أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله)، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، المجلد الأول، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م .
16- البخاري (محمد بن إسماعيل أبو عبد الله)، صحيح البخاري، ج 9، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ .
17- البكري (أبي عبيد الله البكري)، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، مكتبة المثني، بغداد .
18 البيذق (أبي بكر علي الصنهاجي)، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والورق، الرباط، 1971م .
19- الحميري (محمد بن عبد المنعم)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق : احسان عباس، دار القلم للطباعة، لبنان، ط1، 1975م .
20- السعدي (عبد الرحمن بن ناصر)، تاريخ السودان، نشر هوداس وتلميذه بنوه، طبعة باريس، 1981م .
21- السلاوي (شهاب الدين أبو العباس الناصري) الأستقصا لأخبار دول المغرب الأقصي، ج 2، تحقيق : جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ط2، 1997م .

22- القلقشندي (أبي العباس أحمد)، صبح الأعشي فى صناعة الأنشا، ج 5، دار الكتب الخديوية، القاهرة، 1915م .
23- مجهول، نشره سعدل زغلول عبد الحميد، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م .
24- محمد بن أحمد كنعان، تاريخ الدولة العباسية وما رافقها من الممالك، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1998م .
25- محمود كعت التنبكتي، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس ، دار العلوم للنشر والتوزيع، ط1، 2005م .
26- المراكشي (عبد الواحد بن علي التميمي)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2006م .
27- مسلم بن الحجاج القشيري، المسند الصحيح، ج 1، تحقيق : مجموعة من المحققين، ط1، 1334هـ .
28- مسلم بن الحجاج القشيري، المسند الصحيح، ج 4، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار أحياء التراث العربي .
29- النويري (أحمد بن عبد الوهاب)، نهاية الإرب في فنون الأدب، ج 4، دار الكتب و الوثائق القومية، القاهرة، ط1، 1423هـ .
30- الهمداني (أبو عبد الله أحمد بن محمد)، البلدان ، تحقيق : يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1996م .
31- ياقوت الحموي (شهاب الدين بن عبد الله)، معجم البلدان، ج 4، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م .

ثانياً المراجع :

1- أ -لفي بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة : السيد عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة .

2- إبراهيم علي طرخان، إمبراطورية البرنو الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975م .

3- إبراهيم علي طرخان، إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970م .

4- إبراهيم علي طرخان، دولة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973م.

5- أحمد بدر، تاريخ الأندلس، مكتبة الأطلس، دمشق، 1983م .

6- أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج 6، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط13، 1988م .

7- أحمد مختار العبادي، في تاريخ الأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية.

8- إسماعيل أحمد ياغي ومحمود شاكر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، ج2، دار المريخ، الرباط، ط1، 1983م .

9- إيناس حسني البهجي، تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين والموحدين حتي سقوط دولة بني الأحمر، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، 2015م .

10- بازل دافدسن، إفريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة: جمال م. أحمد، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

11- جميل عبد الله محمد المصري، الزلاقة معركة من معارك الإسلام الحاسمة في الأندلس، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط18 .

12- حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، مكتبة النهضة المصرية، ط2، 1963م .

13- حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986م .
14- حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة .
15- حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، مكتبة الخانجي بمصر، ط1، 1980م .
16- حسين مؤنس، الإسلام الفاتح، رابطة العالم الإسلامي.
17- دينس بولم، الحضارات الإفريقية، ترجمة: علي شاهين، دار مكتبة الحياة، بيروت .
18- راغب السرجاني، الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، ج 2، مؤسسة إقرأ، القاهرة، ط1، 2005م .
19- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الحديث، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1977م .
20- شوقي عطا الله الجمل، المغرب الكبير في العصر الحديث، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1977م .
21- الشيخ الأمين محمد عوض الله، العلاقات ويبن المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وصنغاي، دار المجمع العلمي، جدة، 1979 .
22- عباد أحمد توفيق، التصوف الإسلامي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1970م .
23- عبادة بن عبد الرحمن رضا كحيله، المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب،
24- عبد الرحمن زكي، تاريخ الدولة الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية، المؤسسة الحديثة، القاهرة، 1961م .
25- عبد القادر الصحراوي، حوادث في تاريخ المغرب، دار الكتاب، ط 1، 1961م.

26- عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر .
27- عبد الله عبد الرازق وشوقي الجمل، دراسات في تاريخ غرب افريقيا الحديث والمعاصر، القاهرة، 1998م .
28- عبد المحسن طه رمضان، تاريخ المغرب والأندلس من الفتح حتي سقوط غرناطة، دار الفكر، عمان، ط1، 2011م .
29- عبد الواحد شعيب، دور المرابطين في الجهاد في الأندلس، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس .
30- عثمان برايما باري، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين للطباعة، القاهرة، ط1، 2000م .
31- عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب افريقيا، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1988م .
32- علي محمد محمد الصلابي، الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر، 2003م .
33- فتحي زغروت، الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولة المرابطين والموحدين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر – القاهرة، ط1، 1983م.
34- فيصل محمد موسي، موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، مركز دار النيليين، الخرطوم، ط2، 1999م .
35- كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة : نبيه أمين و منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1968م .
36- محمد رفعت، المغرب كما رأيته، د.ن، الرباط، 1963م .
37- محمد عبد الله عنان، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1969م .

38- محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997م .

39- محمد عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1964م.

40- محمد فاضل علي وآخرون، المسلمون في غرب إفريقيا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1971م .

41- محمد كمال شبانه، الدويلات الإسلامية في المغرب، دار العالم العربي، القاهرة، ط1، 2008م .

42- محمود السيد، دولتي المرابطين والموحدين، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2007م.

43- محمود شيت خطاب، قادة فتح المغرب العربي، ج 2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1973م .

44- نجيب زبيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، ج 2، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت – لبنان، ط1، 1995م .

45- نواف أحمد عبد الرحمن, حضارة الأندلس، الجنادرية للنشر والتوزيع، الأردن, عمان، 2015م .

46- يسري عبد القادر الجوهري، العالم الإسلامي في آسيا وإفريقيا، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1985م .